٥- خريطة الخطاب الدينى فى مصر

دكتور أحمد زايد

أولاً : مقدمة : حول المشكلة والمنهج

يهدف هذا البحث إلى محاولة التعرف على موضوعات الخطاب الدينى فى مصر المعاصرة، وخصائصه، وآليات إنتاجه، وذلك عبر تحليل نصوص من الخطاب صادرة عن مؤسسات دينية متعددة إسلامية ومسيحية -ولتحقيق هذا الهدف- يحاول البحث أن يتصدى للإجابة عن عدد من الأسئلة يمكن حصرها فيما يلى: ما هى الموضوعات المختلفة التى تناولها الخطاب؟ وما هى الفروق بين الموضوعات التى يتناولها الخطاب الإسلامى والخطاب المسيحى؟ وهل يعكس الخطاب اتجاهًا واحدًا متجانسًا، أم اتجاهات مختلفة متنوعة؟ وما هى طبيعة التغير فى موضوعات الخطاب عبر الزمن؟ وإلى أىِّ حدٍّ يعبر الخطاب عن اتجاهات أيديولوچية مختلفة؟ وما هى التغيرات التى طرأت على هذا الخطاب فى ضوء الأحداث الأخيرة؟ -خاصة أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما بعدها- وإلى أىِّ حدٍّ يطور هذا الخطاب موضوعات تعالج القضايا المطروحة على الساحة الدولية والمحلية؟ وإلى أىِّ حدٍّ يتفاعل هذا الخطاب مع قضية الآخر، وخاصة تصوراته عن المجتمعات الغربية وعن قضايا العولمة... إلخ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، كان علينا أن نحل بعض المشكلات المنهجية التى يمكن حصرها فيما يلى:

١- التوصل إلى تعريف إجرائى محدد لما نقصده بالخطاب الدينى:

من المعروف أن مفهوم الخطاب يثير إشكاليات مختلفة. وقد توصلت العلوم الحديثة - خاصة النظريات التفكيكية وما بعد الحداثية- إلى تصور عام لمفهوم الخطاب يُدخل فى نطاقه كل الأقوال المسموعة والمكتوبة، والرموز والعبارات؛ بل وأساليب السلوك، باعتبار أن المجتمع ذاته يفهم على أنه نص Text يخضع لنفس أساليب تحليل الخطاب.

ومع أن المصطلح يشير فى اللغة إلى التعبيرات اللفظية المكتوبة أو المرسلة فى الكلام - كالخطب الدينية، والنصوص الدينية- كما يشير إلى المناقشات وصور التعبير اللغوى المختلفة حول موضوع معين، أو حول قضية معينة؛ فإن استخدامه فى العلم الاجتماعى امتد ليشمل

أكثر من معناه اللغوىِّ، فهو يستخدم فى العلوم الاجتماعية بوصفه طريقة منظمة للتفكير، حيث تنتظم الأفكار المختلفة والآراء المختلفة فى أنماط مختلفة من الخطاب[١]. ويصبح الخطاب بهذا المعنى مرادفًا لمفهوم المدخل النظرى أو المنحى النظرى، أو المنحى المنهجى، أو أسلوب التناول أو الأطروحة... وهنا يتسع مفهومه ليشمل صور الخطاب المختلفة فى السياسة وفى الدين؛ بل وفى الحياة الاجتماعية اليومية أيضًا. وهنا يتحول مفهوم الخطاب إلى مفهوم تحليلى لا يتم فيه تحليل الخطاب فقط؛ بل يتم تحليل الأقوال والأفعال وأساليب السلوك المصاحبة له. فالخطاب لا يتكون فقط من الجمل التى تشكل نظامًا مُتعيَّنًا، ولكنه يشتمل أيضًا على صور الأداء اللفظى والعلاقات المتعيِّنة التى تستخدم لتحقيق أغراض معينة، ولذلك فإنه لا يعبر فقط عن النصوص والكلام وإنما يعبر أيضًا عن الرؤية ووجهة النظر[٢]؛ بل إنه يعبر عن سياق من العلاقات التى ترتبط بأفعال وأقوال فى موقف معين[٣]؛ -على اعتبار أن ما يظهر فى الحياة اليومية من أساليب تعبيرية أو منطوقات تعبر عن علامات أو إشارات لها دلالات مختلفة- وهى تسرد وفق قواعد معينة تحمل فى طياتها فعلاً معينًا، ومن ثم فهى تعبير عن وجود، وهى جزء لا يتجزأ من التاريخ.

ومع تسليمنا بهذا المعنى العام لمفهوم الخطاب؛ فإننا نستخدم مفهوم الخطاب الدينى فى هذا البحث، ليشير إلى الأقوال والنصوص المكتوبة التى تصدر عن المؤسسات الدينية أو عن رجال الدين، أو التى تصدر عن موقف أيديولوچى ذى صبغة دينية أو عقائدية، والذى يعبر عن وجهة نظر محددة إزاء قضايا دينية أو دنيوية، أو الذى يدافع عن عقيدة معينة، ويعمل على نشر هذه العقيدة. وفى ضوء ذلك؛ فإن الخطاب الدينى يتحدد إجرائيًّا فى مجموعة النصوص المكتوبة والمسموعة التى تصدر عن مؤسسات دينية، أو عن أفراد يمثِّلون هذه المؤسسات، أو يتخذون موقفًا ذا صبغة دينية، وتظهر هذه النصوص فى شكل كتب أو خطب أو مقالات صحفية، أو نشرات.

٢- تحديد العينة التى سيتم تحليلها:

وقد تم تحديد هذه العينة فى ضوء التعريف الإجرائى الذى ارتضيناه فى هذا البحث بحيث تشتمل على:

أ- تمثيل الخطاب الدينى الإسلامى والمسيحى.

ب- تمثيل الاتجاهات المختلفة داخل كل خطاب.

جـ- تمثيل الأجيال المختلفة من ممثّلى الدعاة.

د- تمثيل الفترة الزمنية الممتدة من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠٠٤م، مع إفراد مساحة أوسع للأعمال المنشورة فى عام ٢٠٠١م،على اعتبار أنه العام الذى حدث فيه الحدث الكبير (١١ سبتمبر٢٠٠١م).

وفى ضوء ذلك تم تحديد المصادر التالية لاختيار عينة التحليل.

الخطاب الدينى الإسلامى:

- المقالات الافتتاحية بمجلة الأزهر التى يصدرها الجامع الأزهر -باعتباره يمثل المؤسسة الرسمية للدين الإسلامى- (بلغ عدد المقالات التى تناولها التحليل ٣٣ مقالاً) (انظر ملحق رقم «١»).
- تحليل نماذج من كتب الشيخ يوسف القرضاوى، على أنه يمثل الإسلام الحركى الذى يرتبط بنشر الإسلام عبر حركة دينية معروفة.
- نماذج من مقالات فهمى هويدى، على أنه يمثل التيار الفكرى الصحفى فى الخطاب الدينى الإسلامى. (بلغ عدد المقالات التى تناولها التحليل ٥١ مقالاً) (انظر ملحق رقم «٢»).
- نصوص من مقالات الداعية -الشاب- عمرو خالد، على أنه يمثل الجيل الجديد من الدعاة. (بلغ عدد البرامج التى تم تحليلها برنامجين، حلل منهما ٤٥ حلقة) (انظر ملحق رقم «٣»).

الخطاب الدينى المسيحى:

- عظات البابا فى مجلة الكرازة المرقسية التى تصدر عن الكنيسة الأرثوذكسية. (بلغ عدد المقالات ٥٦ مقالاً) (انظر ملحق رقم «٤»).
- نماذج من كتب الأنبا موسى أسقف الشباب، على أنه يمثل الحركة الفكرية الاجتماعية داخل الكنيسة.
- نماذج من مقالات يوسف سيدهم المنشورة فى جريدة وطنى، على أنه يمثل الجانب الفكرى الصحفى. (بلغ عدد المقالات التى تم تحليلها ٤٢ مقالاً) (انظر ملحق رقم «٥»).

obeikan.com

٣- أسلوب التحليل:

يعتمد هذا البحث على أسلوب تحليل الخطاب، حيث يسعى إلى الكشف عن الافتراضات الكامنة خلف النصوص أو المشروع الفكرى.. إن هدفنا هنا هو فك شفرة النص باكتشاف ما وراءه من افتراضات أو ميول فكرية أو مفهومات. ونحن إذ نفعل ذلك؛ فإننا نسعى إلى تفكيك النص، لكى يكشف لنا عن معانيه وتجلياته. وكما يؤكد المتخصصون؛ فإن تحليل الخطاب لا يجيب بالقطع عن كل الأسئلة الخاصة، ولكنه يحاول أن يطل على النص من أعلى لكى يكوّن فكرة عامة وشاملة عنه، وذلك كمقدمة لسبر غور النص، بالتعرف على ما يضمره من قضايا وميول واتجاهات ومفهومات، ولذلك؛ فإن تحليل الخطاب هو محاولة لمعرفة الرسائل التى يود النص أن يرسلها، وأن يضع هذه الرسائل فى سياقها التاريخى والاجتماعى(٤).

إن تحليل الخطاب بهذا المعنى لا يقدم لنا حلولاً جاهزة للمشكلات والقضايا التى يثيرها، ولكنه يساعدنا على أن نفهم السياق الذى تبلورت فيه هذه القضايا والمشكلات، وأن ندرك طبيعة الافتراضات الكامنة خلفها. ومن ثم فإن تحليل الخطاب لا يتبنى اتجاهًا نظريًّا معينـًا، ولا يـرتبط بإطـار معرفـى، وإنمـا ينطلـق مـن استراتيـچيـة ذات أفـق مفتـوح تستدعى أىّ أطـر معرفية وأساليب تحليلية، من أجل أن تكشف عن ما هو مضمر فى النص المسموع أو المقروء أو المرئى. وتسمح هذه الاستراتيچية فى تحليل الخطاب باستخدام استراتيچيات فرعية مثل:

أ- استراتيـچية تفكيك النص: وذلك من خلال رفض أو نقد المعنى الظاهر له، وافتراض وجود عالم مفتوح من المعانى والعلاقات، وكذلك رفض التفسيرات الثقافية (الفكرية) الشائعة حول النصوص التى تتحيز لمعنى دون الآخر من خلال ما تفرضه من تصنيفات أو معانى مسيطرة، والبحث الدائم عن الاختلاف، مع عدم التقُّيد بأية مسلمات أو مقدمات تفسيرية، أو أطر تفسيرية مثالية مسبقة تـُخضع النص من أعلى، وتجرُّه إلى قوالب ثابتة(٥).

ب- استراتيـچية نقد النص والسياق: وتنطلق هذه الاستراتيـچية من الإمكانات النقدية لتحليل الخطاب، أو ما يطلق عليه تحليل الخطاب النقدى Critical Discourse Analysis، والذى ينظر إلى النصوص على أنها تـُنتج عبر أفراد ينخرطون فى نسيج المواقف الاجتماعية Socially Situated Speakers and Writers. فالذين ينتجون النصوص يدخلون إلى اللغة وهم محملون باستعدادات مختلفة، كما أنهم يحملون فى ذاكرتهم تاريخًا ذا دلالات

سياسية وإيديولوچية، ومن ثم فإن اللغة التى يستخدمونها هى لغة مادية تعكس أطرًا إيديولوچية محددة، فاللغة لا تشكل صيغًا مستقلة، بقدر ما تعبر عن أيديولوچيات، واللغة لا تكشف عن نفسها؛ إلا من خلال تمثيلها لأنساق من العبارات لها مدلولات لغوية محددة. وفضلاً عن هذا، فإن النصوص تكشف -طالما أنها مرتبطة بسياق محدد- عن علاقات قوة، وعلاقات هيمنة. ولا يمتد النقد الذى يعتمد هذه الاستراتيچية إلى النص فقط؛ بل يمتد إلى كل المكونات المرتبطة ببنية النص، كاللغة المستخدمة، وكاتب النص -كمثقف أو كاتب أو منتج ثقافى- والبناء الاجتماعى والثقافى الذى يتشكل النص فى إطاره[٦].

جـ- استراتيچية التأويل: فتحليل الخطاب لا يخرج عن كونه تأويلاً للنصوص يحتمل الصواب والخطأ. فلسنا هنا بصدد مادة صلبة يمكن الحديث من خلالها عن معايير للصدق والثبات، وإنما نحن بصدد ميل تأويلى يحاول فيه الباحث أن يطل بأفقه التأويلى على النصوص، ليكتشف الآفاق المعرفية وغير المعرفية التى تضمرها هذه النصوص، ومن ثم فإن هذا الالتقاء بين النص والمحلل، هو التقاء ذاتى تنصهر فيه الآفاق -أفق الباحث وأفق النص الذى يحلله- كما يقول جادمار[٧]. وفى ضوء ذلك؛ فإن معايير الصدق والثبات فى تحليل الخطاب هى معايير ذاتية تعتمد فى أساسها على قوة الحجة، وصدق البصيرة، ونقاء الهدف. فعندما يكون الهدف هو البحث عن الحقيقة والتنزّه عن الهوى والغرض، وعندما تكون البصيرة صادقة لا تميل إلى الباطل ولا تحيد عن الحق، وعندما تكون الحجة قوية ومنطقية، يكون تحليل الخطاب صادقًا. ورغم كل هذا؛ فإن النص الذى ينتجه الباحث من تحليله للخطاب يبقى فى النهاية نصًّا مفتوحًا على الخبرة، قابلاً للنقد والتأويل والتفكيك.

وفى ضوء الاستفادة من هذه الاستراتيچيات التحليلية التى يوفرها منهج تحليل الخطاب، يحاول هذا البحث أن يقدم قراءةً لبعض النصوص التى تمثل الخطاب الدينى فى مصر والعالم العربى، فى محاولة لاستجلاء المعانى والافتراضات المضمَرة فى هذه النصوص، والعمل على فتح هذه النصوص على أفق تأويلى مختلف لا يسلم بما تطرحه من معانٍ ظاهرة، وإنما يحاول أن يخضعها لتحليل نقدى يكشف ارتباطاتها وعلاقاتها وميولها الإيديولوچية.

ولتحقيق هذا الهدف نتخذ بعض «الهاديات» التحليلية التى تمكننا من قراءة النص مثل:

- الكشف عن الخصيصة -أو الخصائص- المحورية التى يتبلور حولها الخطاب.

- الكشف عن الموضوعات التى يجادل فيها الخطاب.

- الكشف عن بعض الآليات التى يُنتج بها الخطاب وينتشر.

- النظر فى العلاقة بين منتج النصوص والسياق الذى تنتج فيه هذه النصوص.

٤- الواقع البحثى لموضوع الخطاب الدينى:

ولعلنا فى نهاية هذه المقدمة المنهجية نشير إلى التراث البحثى حول الخطاب الدينى - خاصة فى مصر- فقد لاحظنا من استعراضنا لهذا التراث: أن الدراسات ماتزال قليلة ومتناثرة، وليست فى معظمها دراسات نابعة من حقل البحث السوسيولوچى؛ فقد بدأ الاهتمام بدراسة الخطاب الدينى مع تزايد تيارات الإسلام السياسى وتصاعد موجات الإرهاب. وظهرت بدايات هذه الدراسات عالميًّا ومحليًّا مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. وكانت دراسة محمود إسماعيل بعنوان « مفارقات فى الخطاب الدينى المعاصر» (١٩٨٦م)[٨] رائدة فى هذا المجال، حيث حاول أن يصنف الخطاب، وأن ينقد اتجاه بعض الأكاديميين إلى الدخول إلى دائرة الخطاب الدينى، رافضًا هذا الخلط بين ما هو دينى وما هو دنيوى. ثم جاءت دراسة نصر أبو زيد عن « نقد الخطاب الدينى » (٢٠٠٣م)[٩]، وهى دراسة رائدة بحق؛ إذ سبق علماء الاجتماع إلى دراسة هذا الموضوع مؤكدًا على قضية مهمة، هى عدم وجود فرق فى موضوعات الخطاب وآلياته بين الخطاب المتطرف والخطاب المعتدل، وأن هذه التفرقة هى تفرقة زائفة روج لها الإعلام؛ ودعم هذه الأطروحة من خلال تتبع أوجه التشابه بين الخطابين وخاصة فى الآليات التى ينتج بها الخطاب، وتتابعت الدراسات بعد ذلك من المصريين والأجانب؛ حيث يمكن رصد عدد من الدراسات التى أجريت فى التسعينيات، والتى دارت حول الموضوعات التالية:

أ- نقد التداخل بين الخطاب الدينى والخطاب السياسى، وربط هذا التداخل بصور التداخل فى النظم الحياتية الحديثة فى المجتمع[١٠].

ب- إلقاء الضوء على دور الخطاب الدينى فى تشكيل الذات الاجتماعية، أو تشكيل الهوية، وخاصة تشكيل هوية الجماعة القبطية[١١].

جـ- دراسة تجربة الاعتقال فى الخطاب الدينى، حيث يروى بعض الدعاة تجاربهم فى

الاعتقال، مثل زينب الغزالى فى كتابها « أيام من حياتى »، والذى أجريت عليه دراسة حاولت من خلالها اكتشاف آليات عمل السلطة فى مرحلة معينة من تاريخ مصر(١٢).

ولقد أعطت أحداث الحادى عشر من سبتمبر طابعًا جديدًا لدراسة الخطاب الدينى، حيث بدأت هذه الدراسة ترتبط بما يسمى إصلاح الخطاب الدينى أو تجديده، ولقد ظهر هذا الاتجاه لدى الباحثين ولدى رجال الدين على حد سواء. ولقد أشارت هذه الدراسات إلى عولمة الحركة الإسلامية، وأهمية إصلاح السياسات المتصلة بالدين وأهمية إصلاح الخطاب الدينى(١٣)، والتأكيد على أن مصطلح تجديد الخطاب الدينى ارتبط فى الأساس بالخطاب الإسلامى؛ إلا أنه سرعان ما انتقل إلى تجديد اللاهوت المسيحى وإشكاليات تجديد كلتا الديانتين السماويتين الأوسع انتشارًا فى دول المنطقة والعالم(١٤) كما أشارت هذه الدراسات إلى: أهمية تحديد منهج الدعوة الإسلامية لتواكب الظروف الراهنة بما فيها من معطيات وما تحفل به من تحديات(١٥)، وإلى أهمية تنقية الخطاب الدينى الإسلامى والمسيحى من التعصب عن طريق تدعيم فكرة قبول الآخر(١٦).

وعلى الرغم من الدراسات القليلة؛ إلا أنها عكست بوضوح طبيعة الاهتمام بتحليل الخطاب الدينى، والذى تحوَّل عبر مراحل ثلاث إلى: النقد، والتحليل، والمطالبة بالتجديد والإصلاح.. ولعل وجه القصور فى كل هذه الدراسات أنها لم تعتمد -إلا فى النذر اليسير- على تحليل مادة خطابية؛ فمعظم هذه الدراسات تقدم تحليلات استنباطية. ويمكن النظر إلى دراستنا هذه على أنها تسد هذه الثغرة، أو أنها تُضاف إلى الدراسات القليلة التى اعتمدت على تحليل نصوص.

ثانيًا: مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى

تتنوع مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى فى مصر تنوعًا كبيرًا، وخاصة مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى الإسلامى، وربما يكون هذا مصدرًا لدخول أفكار مختلفة وتفسيرات مختلفة حول الموضوع الواحد، وسوف نحاول فيما يلى: أن نلقى الضوء على خريطة المؤسسات المنتجة للخطاب الدينى الإسلامى والمسيحى.

١- مؤسسات إنتاج الخطاب الإسلامى

لا تقتصر مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى الإسلامى على المؤسسات الرسمية التى

تنحصر فى ثلاث مؤسسات هى: الأزهر، ووزارة الأوقاف، ودار الإفتاء؛ وإنما تتسع اتِّساعًا كبيرًا لتشمل المساجد التى تنتمى إلى وزارة الأوقاف شكلاً ولكنها قد لا تلتزم بالضرورة بسياسة الوزارة، بل تخضع فى خطابها لاتجاهات أئمة المساجد وميولهم الدينية والسياسية، وهناك أيضًا: الجماعات السياسية غير الرسمية ذات التوجه الدينى التى تصدر نشراتها الخاصة وبياناتها الخاصة، وأهم هذه الجماعات جماعة الإخوان المسلمين.

أ- الأزهر: يعد الأزهر أقدم مؤسسة فى مصر (أنشىء عام ٣٦١هـ/ ٩٧٢م). ومع أنه نشأ نشأة شيعية للدعوة للمذهب الفاطمى فى مصر؛ إلا أنه تحول بعد ذلك إلى مؤسسة سُنية. وعلى الرغم من استقلاله كمؤسسة دينية؛ إلا أن أعماله تُنظم من خلال قوانين أصدرتها الدولة منذ عام ١٨٧٢م حتى صدور قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١م. ويضم الأزهر فى داخله مؤسسات فرعية هى: المجلس الأعلى للأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، وجامعة الأزهر.

ب- وزارة الأوقاف: وهى من أقدم الوزارات فى مصر؛ إذ أنشئت عام ١٨٣٥م. ومع أنها تهدف إلى الحفاظ على أوقاف المسلمين وتنفيذ شروط الواقفين؛ إلا أنها تعد مؤسسة لإنتاج الخطاب الدينى -طالما أن أحد أهدافها أيضًا هو الدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج- ولذلك فهى تُشرف فى الداخل على المساجد المنتشرة فى أنحاء الجمهورية. كما تشرف الوزارة على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى تعُدُّ الدعوة إلى الإسلام، وتعريف شعوب العالم بأصوله ومبادئه إحدى مهامه الرئيسية.

جـ- دار الإفتاء: وهى مؤسسة قديمة أنشئت فى مصر الحديثة فى عام ١٨٩٥م فى حضن الأزهر، ثم انفصلت عنه، ويرأسها مفتى الديار المصرية، الذى يعدُّ رمزًا دينيًّا تقترب مكانته من مكانة شيخ الأزهر. وتجيب دار الإفتاء عن الأسئلة الشرعية، وتبين حكم الشرع فيها، كما تؤدى دورًا فى تدريب المبعوثين من الدول الإسلامية على الإفتاء، وتصدق على أحكام الإعدام. وقد برز دور دار الإفتاء فى السنوات الأخيرة لتصديها لعدد من القضايا الاجتماعية والسياسية وإبداء الرأى فيها، وتحولت بذلك إلى عنصر فاعل فى إنتاج الخطاب الدينى.

د- المساجد المستقلة: مع أن المساجد تخضع لإشراف وزارة الأوقاف؛ إلا أن هناك بعض المساجد التى لم تدخل بعد تحت إشرافها، كما أن هناك مساجد تخضع - على الرغم من إشراف وزارة الأوقاف عليها - لسيطرة اتجاه سياسى معين، كالمساجد التى يسيطر عليها الإخوان المسلمون، وتلك التى تعد مراكز لأنشطة الجمعية الشرعية المركزية وجمعياتها الفرعية.

وليس ثمة وحدة أو تنسيق بين هذه المؤسسات التى تنتج الخطاب الدينى، الأمر الذى يجعل الخطابات الصادرة عنها لا تتسم فى الكثير من الأحيان بالانسجام، بل إننا قد نلحظ عدم الانسجام هذا داخل المؤسسة الواحدة كالصراع القائم بين إدارة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، أو جبهة علماء الأزهر، وهى هيئة مستقلة تأسست من خلال جماعة من مشايخ الأزهر الذين رأوا فى فتاوى شيخ الأزهر ومواقفه تنازلاً(*). ويظهر الاختلاف وعدم الانسجام على نحو أعمق فى مواقف الدعاة المتصلين بالناس داخل المساجد والذين لا يختلفون فى مواقفهم فحسب، بل فى عمق درايتهم بالدين أيضًا.

٢- مؤسسات إنتاج الخطاب المسيحى:

فى الوقت الذى توجد فيه مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى الإسلامى متجاورة أحيانًا (ومتنازعة أحيانًا)، توجد مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى المسيحى متعامدة يخضع أدناها لرقابة أعلاها. وهى وإن وجدت متجاورة؛ إلا أنها تخضع كلها لسلطة عليا واحدة هى سلطة البطريرك الأعلى للكنيسة، ومعه مجموعة من القساوسة الكبار يطلق عليهم « رجال الكهنوت » أو « الإكليروس » ينتشرون فى الكنائس ولهم سلطة إدارتها وتدبير أمورها. ويتراتب رجال الكهنوت إلى فئات ثلاث هى: الأساقفة (وهم رتبة عليا ويوكل إليهم إدارة أبراشيات أو مناطق)، والقساوسة (وهم الذين يديرون شئون الكنائس)، والشمامسة (وهم الذين يساعدون القساوسة فى إدارة شئون الكنائس). ويعمل تحت إدارة السلطة العليا للكنيسة القبطية مؤسسات فرعية تسهم فى إنتاج الخطاب الدينى بجانب الكنيسة بتدرجها السابق.

أ- المجمع المقدس: وهو السلطة التشريعية العليا فى الكنيسة، وهو المرجع الأعلى فيما يتصل بشئون العقيدة، ويرأسه البابا. ويتكون من الأساقفة الكبار فى الكنيسة الذى يكون لكل منهم دائرة عمل محددة؛ كأسقف الشباب، وأسقف التعليم، وأسقف البحث العلمى... إلخ. ويصدر عند هذا المجمع مطبوعات عدة يؤلفها الأساقفة ويعالجون فيها قضايا الساعة.

ب- مجمع الكهنة: ويتكون من كهنة كل أبراشية، ويرأسه الأسقف الذى يرأس الأبراشية.

(*) تأسست جبهة علماء الأزهر فى الأربعينيات من القرن الماضى كجمعية أهلية تهتم بشئون الفكر الإسلامى وقضايا العصر بشكل عام (المحرر)

جـ- المجلس الملى: وهو مجلس يجمع بعض العلمانيين مع رجال الكنيسة بحيث يعمل على تأكيد الدور الشعبى فى إدارة الكنيسة، ويعمل بمثابة همزة الوصل بين ما هو دينى وما هو دنيوى.

د- مدارس الأحد: وهى فصول تعليمية وتثقيفية داخل الكنائس، ولقد نشأت كجهود تطوعية داخل الكنائس، ولكنها ما لبثت أن تحولت إلى مؤسسة رسمية تتبع أسقف التعليم (وهو البابا نفسه)، وتعمل وفق أسس رسمية وتُصدر مطبوعات تعبر عن آراء ومواقف الكنيسة، ومن أهم مطبوعاتها مجلة مدارس الأحد.

ثالثا: خريطة الخطاب الدينى الإسلامى

نقدم فيما يلى عرضًا لخريطة الخطاب الإسلامى كما تم التعبير عنه فى عدد من مؤسسات إنتاجه. -وكما سبق وأشرنا- فإننا قمنا باختيار صور من الخطاب تعبر عن تنويعات آنية ورأسية منه. فبدأنا بتحليل الخطاب الأزهرى كما تعبر عنه المقالة الافتتاحية فى مجلة الأزهر؛ وعرجنا بعد ذلك إلى تحليل نماذج من خطاب الداعية الشيخ يوسف القرضاوى على أنه من أكثر الدعاة انتشارًا وتأثيرًا فى العالم الإسلامى، ثم انتقلنا إلى تحليل عينة من نصوص فهمى هويدى على أنه من أكثر المفكرين الإسلاميين انتشارًا فى الصحافة العربية، وأخيرًا أخذنا نماذج من نصوص عمرو خالد على أنه يمثل الجيل الجديد من الدعاة.

١- خطاب الأزهر:

بلغ عدد المقالات التى تم تناولها من افتتاحيات مجلة الأزهر ٣٣ مقالاً، وهى عينة ممثلة للفترة من يناير ٢٠٠٠م إلى سبتمبر ٢٠٠٤م. ولقد بدأنا بحصر الموضوعات التى تناولتها هذه المقالات فجاءت الموضوعات الدينية فى المقدمة (فبلغت ١٦ موضوعًا)، تليها الموضوعات ذات الطابع الاجتماعى (١٠ موضوعات)، ثم الموضوعات ذات الطابع الثقافى (٧ موضوعات).

واشتملت الموضوعات الدينية على إثنى عشر موضوعًا فرعيًّا؛ احتل الحج، والصوم، والاحتفال بالمولد النبوى، والأعياد مركز الصدارة، حيث تكرر الحديث عن هذه الموضوعات فى أكثر من افتتاحية، ثم جاءت بعد ذلك موضوعات مثل؛ التوبة، والذكر، والتوحيد، والأخلاق،

والعدل، وميراث المرأة، وما ينبغى أن يكون عليه الداعية من دراية وثقافة.. أما الموضوعات الثقافية فقد اشتملت على موضوعات حول البحث العلمى، ومنهج كتابة التاريخ، والأدب الهابط، والإلحاد، ونقد العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية، وقسوة وعنف الغرب، والعلاقة بين الدين والأخلاق. وجاءت الموضوعات الاجتماعية لتغطى موضوعات مثل هدر الوقت، والعدالة، وثرثرة العامة، وتضليل الرأى العام، والنفاق، والعادات الاجتماعية السيئة.

ومن الواضح أن الخطاب الدينى الصادر عن الأزهر: يركز فى معظمه على الوعظ والإرشاد، وتوضيح صحيح الدين، فى مقابل الأفكار المغلوطة، أو الأفكار المستوردة، ويكشف عن الأسس التى يجب أن تقوم عليها الدعوة الصحيحة، ويؤكد فى كل الأحوال على رسالة الأزهر ورسالة مجلة الأزهر. وتظهر هذه الخصائص فى الموضوعات ذات الطبيعة الدينية الخاصة. وعندما ينتقل الخطاب إلى الموضوعات ذات الطبيعة الثقافية أو الفكرية أو السياسية؛ فإنه يتحول إلى خطاب أكثر حدة، ويتخلى عن النصح والإرشاد والوعظ؛ ليدخل فى اتجاه النقد اللاذع بل وتوجيه الاتهامات أحيانًا. ونأخذ أمثلة على ذلك فيما يلى:

أ- فى مقال عن نقد الدراسات الإنسانية والاجتماعية، يتهم الكاتب المتخصصين فى هذه الدراسات بقصور معلوماتهم الإسلامية؛ ذلك لأنهم جعلوا كتب أوروبا مرجعهم الأوحد، حيث يشير النص إلى أن « أكثر الذين يكتبون فى آفاق الدراسات الإنسانية من تربية واجتماع وعلم نفس، وتاريخ وحضارة، وأخلاق، أكثر هؤلاء الأساتذة الكاتبين قد اقتصرت معلوماتهم الإسلامية على ما أخذوه فى المرحلة الثانوية -وحدها- فهم لا يعرفون من حقائق الإسلام غير ما ألم به طالب المدرسة الثانوية فى البلاد العربية، وهو مقدار لا يسمح بإعطاء فكرة صادقة عن الإسلام... هذا الطالب الذى عرف القشور السطحية من دينه يتوجه إلى الجامعة ليدرس العلوم الإنسانية كما حذقها أساتذته الذين جعلوا كتب أوروبا مرجعهم الأوحد؛ فإذا قضى سنواته الجامعية وتفوق فى الليسانس فقد يُبعث إلى كلية أوروبية، وقد يلتحق بالدراسات العليا بجامعته، ثم ينال الدكتوراة فى موضوع تخصصه، وقد ألمَّ بكلامه ونظرياته ومراجعه فى نطاق أجنبى تام لا يتصل بالإسلام فى شىء، ثم يعين بعد ذلك مدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا بالجامعة ليشرح للطلاب المسلمين من مسائل! وهنا تكون الكارثة الطامة؛ إذ يتعرض صاحب هذه الدراسة مثلاً إلى نشأة الدين، فيجده فى رأى من ينقل عنهم

من رجال الاجتماع وليد أساطير وخرافات فرضتها سلطات خاصة، ليكّون فى النهاية طقوسًا وعبادات وصفحات وقوانين! ».

ب- فى مقال آخر عن الأدب الهابط: يهاجم الكاتب من وُصفوا بالمثقفين الذين لا عمل لهم فى الحياة إلا الإشادة بالإلحاد الدينى، والدفاع عن السقوط الخُلقى، وصياغة الانحدار الأخلاقى، والكفر الصريح بدعوى حرية الفكر.

« حين قام وزير الثقافة بإقالة من أشرفوا على نشر الأدب الهابط، كثر ترديد الصحف - من يومية وأسبوعية- لكلمة المثقفين، دعوة المثقفين، وذكرت بهذا الصدد أسماء لا تذكر إلا فى مجالين فقط؛ مجال الدفاع عن السقوط الخلقى، أو مجال الإشادة بالإلحاد الدينى، وكأن هؤلاء الذين وُصِفوا بالمثقفين لا عمل لهم فى الحياة إلا صيانة الانحدار الخلقى، والكفر الصريح معًا بدعوى حرية الفكر. وقد صودرت حرية الفكر فى أمور كثيرة غير هذين فلم نسمع لهم صوتًا؛ إذ ليس هناك مجال يحرصون على حمايته غير الأدب السافل والإلحاد الصريح! ».

« إذا جاء مدَّعو الثقافة اليوم ليعلنوا أنهم فى جانب الأدب الإباحى الذى يصور الواقع الخسيس دون حياء؛ فليعلموا أنهم يبعدون عن مفهوم الثقافة الحقيقية! وإذا كان أمثال عباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم ومنصور فهمى قد أبانوا باطل هؤلاء المدَّعين؛ فلم يبق عليهم إلا أن يعترفوا بأنهم ينحرفون عن معنى الأدب الصحيح ».

جـ- فى مقال ثالث بعنوان « إنسانية الغرب فى الميزان » تصادف نشرها فى شهر سبتمبر ٢٠٠١م، يشن الكاتب حربًا نقدية على الغرب بسبب عنف حضارته بدءًا من العصر الإغريقى وحتى الآن؛ فقد كان الإغريق يعذبون العبيد ظلمًا وعدوانًا، وكانت الحضارة اليونانية تتخذ من مشاهد القتل احتفالات ترفيهية؛ حيث كانوا يدفعون بالحيوانات الجائعة من النمور والذئاب والأسود لتنقض على الأسرى بين تصفيق المشاهدين وصياحات الإعجاب، وتعرض الكاتب للفلسفة المسيحية فى العصور الوسطى واتهمها بأنها تدعو إلى الإرهاب الفكرى؛ حيث أعطى الفكر الأوغسطينى حق نفى وجلد وتعذيب الملحد. ومهد ذلك إلى منح البابا حق الإله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. كما أشار المقال -أيضًا- إلى محاكم التفتيش والمخالفات التى ارتكبتها فى حق الأبرياء. وفى ضوء ذلك كله اتهم الكاتب الحضارة الأوروبية كلها بأنها حضارة عنف ولا إنسانية فيها.

د- فى الموضوعات الاجتماعية نجد نقدًا لنظم التعليم، وإهدار الوقت، والثرثرة بين الناس، والنفاق والعادات الاجتماعية السيئة. ويتميز النقد الاجتماعى الصادر عن الخطاب الدينى الرسمى: بأنه يتخذ من الأساس الدينى والأخلاقى معيارًا لقياس الأشياء والحكم عليها، ففشل نظام التعليم لعدم التزامه بالأسس الإسلامية، وميل بعض الشباب إلى الانحراف ناتج عن ابتعادهم عن القيم الدينية « تكشف لجان الاختيار عن حقائق مذهلة حين يتقدم حامل الليسانس والبكالوريوس إلى الوظائف العامة فى المؤسسات والإذاعة وغيرهما؛ إذ يسأل الجامعى المثقف عن بداءة مبدئية؛ فلا يدرى عنها شيئًا، يسأل عن مدينة مثل « بروكسل » فيقول إنها اسم طبيب... وأنت تحار فى سبب هذه الأمية التى فاقت الأمية الأبجدية فى خطورتها، فالأمى غير المتعلم معذور حين يجهل كل شىء، ومع ذلك فقد يعرف ما لا يعرفه المتعلم المثقف، إذا قورن بينهما فى بعض مناحى السلوك الإنسانى!.. وما دمنا قد تحدثنا عن إخفاق الجامعة فى تثقيف أبنائها الطلاب، فلابد أن نتحدث عن أسباب هذا الإخفاق، بل لابد قبل الحديث عن الإخفاق الثقافى، أن نشير إلى الإخفاق التربوى؛ لأن إغفال الجامعات لتنمية السلوك الإنسانى، وتنشئة الطالب نشأة إسلامية تلتمس قواعدها من أخلاق القرآن، وسنة الرسول، وسيرة السلف الصالح، هذا الإغفال جعل بعض الشباب يميل نحو الانحراف؛ إذ لا يعصمه من الزلل نص محكم من كتاب الله، أو درس تهذيبى يريه النمط المنشود فى الحياة ».

هـ- يتجه النقد فى بعض الأحيان إلى نقد المسلمين بشكل عام ونقد أحوالهم. فالمسلمون - على سبيل المثال- يتفانون فى إضاعة الوقت. ويتجه نقد أحوال المسلمين فى بعض الأحيان إلى إثارة قضايا اجتماعية عامة، مثل قضية المخدرات والإدمان. « إن الوقت هو رأسمال الإنسان، وهو أغلى ما يكون عند العلماء والعقلاء؛ إذ هو قوام علمهم، وعماد حياتهم، وهو أرخص ما يكون عند الجهال، كما أن السلف الصالح من هذه الأمة يعرفون شرف الوقت وقيمته وأهميته... أما اليوم فيكاد يكون التهاون بقيمة مبالاة فى المقاهى والملاهى ودور السينما، لا ليفيدوا من الحضارة النافعة التى برز فيها الغرب؛ بل على الأكثر ليتمتعوا بالعرض الزائل أمامهم، ويعجبوا بمهارة اللصوص والقتلة، وعصابات السلب والنهب والقتل، وإذا لم تكن الملاهى أكَّبوا على لعب الورق والنرد، وأقاموا حلقات القمار، وكل ما يضيِّع الوقت ويبدِّد الأعمار فى غير طائل، ويذهب بالدين والخلق ».

و- غالبًا ما ينتهى النقد بتقديم نصائح إلى المسلمين. وتأخذ هذه النصائح صورة الموعظة التى تقترب بالسلوك من نمطه المثالى الذى يقف خلف الخطاب ويوجهه، فعندما يتحدث أحد الكتاب عن الثرثرة التى يُضيِّع فيها الناس -من المسلمين- أوقاتهم ينتهى الكاتب بالقول: « إن من احتقار المواهب الإنسانية أن يفيض عقلاء القوم فى حديث ممرور لا يجلب غير الحنق والضيق، وقد تكون التفاهة مسرَّة للجهلاء؛ ولكنها للمثقفين كارثة يعز فيها ويند عنها العزاء، فليت الذين أوتوا نصيبًا من المعرفة يتركون هراءهم السقيم إلى سمر ينعش الأرواح ويسمو بالأخلاق ».

ز- يتخذ الخطاب الدينى الصادر عن مجلة الأزهر اتجاهًا محافظًا، فهو لا يقدم تنازلات، ولا يحاول أن يتقبل أمورًا أصبحت راسخة فى المجتمع كعمل المرأة. « فللمرأة وظائف اجتماعية خاصة كالطب والتربية والتعليم والحضانة. ونجد من يقول: إن نسيبة -رضى الله عنها- قد حاربت مع الرسول، وهذا تضليل كاذب؛ لأن ساعة الحرب تمثل حدثًا طارئًا يتجند له كل مواطن، فهل الدعوة إلى اقتصار المرأة على المهن المناسبة لتكوينها الطبيعى، تدفع المعارض إلى الاستشهاد بنسيبة -رضى الله عنها- وأمثالها الكثيرات! وإذا كانت الأحكام العرفية تعلن رسميًّا فى أيام الحرب، وتعد المصانع لنوع خاص من الذخيرة وتحمى بعض الطرق لتخصص لسير العربات الحربية، وتحمل المرأة السلاح لتقف مع الرجل تجاه العدو الصاعق؛ إذا كان ذلك كله يحدث استثنائيًّا أيام الحرب؛ أنتخذه دليلاً على ما يصنع فى عهد السلم، ونتشدق بأن نسيبة -رضى الله عنها- كانت تحمل السلاح؟! لقد كانت تحمل السلاح كالرجل، ولم تكن ذات خلاعة ومجون! ». وفى ضوء هذا يناهض الخطاب الدينى الخطاب الحداثى الذى يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث، أو الذين ينطلقون من القوانين الوضعية، ومن هنا تظهر صور من الهجوم والنقد لأفكار « سلامة موسى » و« قاسم أمين » وغيرهما.

٢- الخطاب الإسلامى المعولم:

ترددنا فى استخدام هذا العنوان الذى فضلناه عن عنوان « الخطاب الإسلامى الحركى » الذى كنا انتوينا أن نعنون به هذا الجزء من البحث. ولا نقصد بصفة المعوْلم هنا خطاب الجماعات الإسلامية المنظمة عبر العالم، والتى تنتج الخطاب الإسلامى المتطرف، ولكننا نقصد

الخطاب الإسلامى الذى يتجاوز حدود قطر واحد، ويصبح مؤثِّرًا على مستوى العالم من خلال ما يملكه من حجة، وما يتاح له من إمكانات. ولقد وجدنا أن أكثر النصوص تمثيلاً لهذا الخطاب: هى نصوص الشيخ يوسف القرضاوى، المصرى الذى يعيش فى قطر، ويظهر أسبوعيًّا -وبشكل استمر أكثر من ثمانى سنوات- على قناة الجزيرة، وتُقرأ كتبه فى سائر أنحاء العالم الإسلامى من المغرب إلى أندونيسيا، كما أن له هو نفسه شبكة اتصالات واسعة عبر العالم الإسلامى ومع الجاليات الإسلامية التى تقيم فى أوروبا وأمريكا.

وقد قرأنا خمسة نصوص للشيخ القرضاوى نشرت فى الفترة من ١٩٨٨م إلى ٢٠٠٤م وهى:

- بيانات الحل الإسلامى: شبهات العلمانيين والمتغربين، ١٩٨٨م.
- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ٢٠٠١م.
- من أجل صحوة راشدة، ٢٠٠١م.
- رعاية البيئة فى الشريعة الإسلامية، ٢٠٠١م.
- خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ٢٠٠٤م.

ويكشف خطاب الشيخ القرضاوى عن رؤية واضحة للإصلاح؛ فهو خطاب يتفاعل تفاعلاً كبيرًا مع قضايا الساعة الساخنة، فهو ليس خطابًا انسحابيًّا يكتفى بالنظر فى أمور الدين؛ ولكنه خطاب جلّ اهتمامه هو شئون الدنيا، فهو يتأمل فى أحوال المسلمين تارة، ويبحث عن حل لأحوالهم ومشكلاتهم تارة أخرى، ويناقش المفهومات والقضايا التى يختلف حولها المثقفون والمفكرون ورجال الدين. ومن ثم؛ فإن الخطاب هنا ليس خطاب عظات ومواعظ فقط؛ ولكنه خطاب يحمل رسالة واضحة للإصلاح، التعامل مع القضايا المطروحة على الساحة.

أ- لماذا تأخر المسلمون؟ يحتل هذا السؤال مكانًا بارزًا فى نصوص الشيخ، ونجده يظهر بشكل متكرر فى كل النصوص التى تم تحليلها. فثمة افتراض بأن المسلمين قد تأخروا عن غيرهم، وأن لهم صحوة حديثة، ولكن هذه الصحوة يشوبها بعض القصور، وهى تنحرف أحيانًا عن جادة الصواب. وتصنف أسباب تأخر المسلمين إلى أسباب داخلية وأخرى خارجية، جاءت كما يلى:

- **الجمود والجحود**: حيث ضاع الإسلام بين جاحد ينفر من الدين، وجامد ينفر الناس

عنه، فالمسلمون هم مسلمون بأسمائهم لا بدينهم « إننا مسلمون بأسمائنا، بشهادات ميلادنا، وبعض الشعائر التى تربطنا بديننا، نحن المسلمون « رسميون » أو « جغرافيون » بحكم وجودنا فى أرض الإسلام، ولكن الواقع أن حياتنا ليست إسلامية؛ بل هى خليط غير متجانس من الإسلام والمادية، والوثنية الفكرية والروحية » .

(من أجل صحوة راشدة، ص١٦٤)

- **الانشغال بالفروع عن الهموم الكبرى**: فالذى يوقع الناس فى « حفرة الاختلاف وينأى بهم عن الاجتماع والائتلاف فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة والآمال العظيمة والأحلام الواسعة، وإذا فرغت الأنفس من الهموم الكبيرة، اعتركت على المسائل الصغيرة، واختلفت فيما بينها على غير شىء ». (الصحوة الإسلامية، ص٩١)

- **الركون إلى عالم الخرافات، كالسحر والشعوذة**: واستخدام التصوف كنوع من الكهانة والتجارة بالدين، ونشر الخرافات والشركيات. ويربط خطاب الشيخ بوضوح، بين انتشار الركون إلى الخرافة، والفهم الخاطئ للتصوف الذى يقوم على الكهانة وسيطرة الشيوخ على المريدين الذين يخضعون لهم « كالميت بين يدى المريد ». ويرفض الشيخ هذا النوع من التصوف.

- **الافتتان بالغرب وتقليده**: فهو يتحدث عن « فريق الأذناب المقلدين للمعسكر الغربى الذين هالهم صنم الحضارة الغربية، فبرروا كل ما تجىء به، وتحمَّسوا له، ودعوا إليه باسم التطور والتجديد، ولو كان هو العرى والانحلال والإلحاد والإباحية ».

(من أجل صحوة راشدة، ص٦٠)

ب- العلاقة بالغرب: يتحاور خطاب الشيخ حوارًا صريحًا مع الحضارة الغربية، ويقوم هذا الحوار على فرضية كامنة فى الخطاب، وهو يعبر عنها بوضوح، مؤداها: أن العلاقة بالغرب شكلت أحد أسباب تأخر المسلمين، وأن ثقافة الغرب وحضارته تختلف عن ثقافة وحضارة المسلمين، وإن كان هذا لا يمنع أن نأخذ عنه علومه. ومن الملاحظات المهمة فى هذا الصدد.. ظهور اختلاف واضح فى موقف الشيخ وخطابه حول الغرب فيما بعد ١١ سبتمبر. ففى كتاب « بيانات الحل الإسلامى » وما قبله يتحدث عن استهداف الغرب للإسلام، ويناقش أفكار كونت وماركس المناوئة للدين، ويرد على ادعاءات العلمانيين الذين يتهمون الشريعة بالجمود؛

ويؤكد على أن الاستعمار القديم والجديد أراد أن يكون لكل شعب من الشعوب تفسيره الخاص للإسلام « وبذلك توجد إسلامات متفرقة ضعيفة يسهل هدمها وابتلاعها، بدل من إسلام واحد قوى تعسر مقاومته... وهكذا يفقد الإسلام وحدته وتفقد أمته وحدتها الفكرية.. وتصبح أممًا شتى بإرادة الاستعمار، لا أمة واحدة كما أمر الله ». (بيانات الحل الإسلامى، ص٩٤)

ومع أن خطاب الشيخ هو خطاب متسامح بوجه عام؛ إلا أن هذه الدعوة إلى التسامح قد ازدادت بشكل واضح فى خطاب الشيخ فيما بعد ١١ سبتمبر، حيث نجده يشن حملة فى كتابه بعنوان « خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة » ينتقد الدعاة والخطباء الذين يدعون على اليهود والنصارى، حيث يؤكد على أن الاعتزاز بالعقيدة والاستمساك بها لا يعنى « التعصب ضد الآخرين، أو الإنكار لوجودهم، أو التنكر لحقوقهم، أو إضمار البغض والعداء لهم... فحساب الناس على كفرهم إذا كفروا، وعلى ضلالهم إذا ضلوا، ليس فى هذه الدنيا، وإنما هو فى يوم الفصل، أو يوم الحساب الذى تُوفَّى فيه كل نفس ما كسبت، وتجزى بما عملت، من خير أو شر، والذى يحاسب الناس فى هذا اليوم أو تلك الدار، إنما هو خالقهم الذى يعلم سرهم ونجواهم، وما تُخْفِى صدورهم، ويعلم المعذور منهم من غير المعذور، ويعلم من كَفَرَ منهم عجزًا أو جهلاً، ومن كَفَرَ منهم عنادًا واستكبارًا من بعد ما تبين له الحق ».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص ١٠٢-١٠٣)

وثمة ثلاث ملاحظات تدل على تحول فى فكر الشيخ، وعلى قدرة خطابه على التَّفاعل مع متغيرات العصر:

الأولى: استخدامه لكلمة « **الخطاب الإسلامى** » وهى كلمة غربية، وإيمانه بأهمية تجديد هذا الخطاب وتهذيبه وإصلاحه؛ حيث يقول « ما ينبغى أن يتبناه الخطاب الإسلامى فى عصر العولمة: الدعوة إلى إشاعة الحب بين الناس وتحرير الناس من دعاوى الكراهية والحقد والحسد والبغضاء، وهى التى سمَّاها الرسول ﷺ (داء الأمم)، وهو داء يفتك بالعلاقات الإنسانية أكثر مما تفتك الأمراض والأوبئة القاتلة بالأجسام ».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص ١٠٥)

والثانية: استخدامه لكلمة **العولمة** « فخطابنا الإسلامى لا يجوز له، أولا يليق به، ولا يقبل منه أن يتجاهل ما يجرى فى عالمنا الكبير اليوم بعد ثورة الاتصالات وثورة المعلومات، ولا يجوز

له أن يتغافل ما يقال عن « صِدام الحضارات » و« حوار الحضارات »، أو ما يقال عن « حوار الأديان » أو التقارب بين الأديان، أو يصمت عما تريده القوى الكبرى من تغيير هويتنا، أو مناهجنا التعليمية، وإصلاح عقولنا الفاسدة، وتحريرنا من ثقافتنا المتخلفة؛ فلا يجوز للخطاب الدينى أن تستهلكه القضايا المحلية إلى حد أن يجهل ما يشكو منه العالم من اختلال التوازن الكونى، واختلال التوازن البيئى، واختلال التوازن الإنسانى.. يلزم الخطاب الدينى أن ينظر بعينين إحداهما ترنو إلى الواقع المحلى والإقليمى، والأخرى تنظر إلى الواقع العالمى. وهذا التوازن مطلوب ». (خطابنا الإسلامى، ص ١٢٧)

ويكشف النص عن وعى بالمفهومات المتداولة فى الخطاب العالمى، كما يكشف عن وعى بقضايا العولمة، وعلاقة المحلى بالعالمى.

الثالثة: أنه يناقش قضايا يزداد ترديدها يومًا بعد يوم فى الخطابات الرسمية وخطابات حقوق الإنسان، وخطابات المنظمات العالمية، مثل قضية البيئة، وقضية المرأة، وقضية المواطنة؛ فقد خصص الشيخ كتابًا كاملاً عن البيئة بعنوان « رعاية البيئة فى شريعة الإسلام » (٢٠٠١م)، حيث قدم تأصيلاً شرعيًّا لرعاية البيئة، وأهم الركائز الإسلامية لرعاية البيئة كالتشجير والعمارة، والتثمير والنظافة، والمحافظة على البيئة من الإتلاف ومن الأخطار التى تهددها، مثل خطر التلوث، وخطر استنزاف الموارد، وخطر اختلال التوازن. كما خصص الشيخ كتبًا لمعالجة قضية المرأة، منها كتاب « مركز المرأة فى الحياة الإسلامية »، كما عرض لكثير من قضايا المرأة فى كتاب له بعنوان « فتاوى معاصرة » الصادر فى ثلاثة أجزاء، وعاد إلى الموضوع فى كتابه الأخير عن الخطاب الإسلامى فى عصر العولمة، حيث نقد الخطاب الإسلامى المتشدد الذى ينظر إلى المرأة باعتبارها مخلوقًا دون الرجل، وأن عليها أن تلزم بيتها ولا تخرج منه... وأن وجه المرأة عورة ولا يجوز كشفه. كما انتقد أولئك الذين يعارضون تعليم المرأة والذين يردد بعضهم أحاديث لم يحسنوا فهمها ولم يضعوها فى موضعها الصحيح، وأغفلوا مئات الآيات والأحاديث التى تبين موقف الإسلام حقًّا من المرأة. وبنفس الروح أبدى الشيخ استعداده للتخلِّى عن مفهوم « أهل الذمة » الذى لا تقبله بعض الأقليات، وقال « .. إذا كان مواطنونا من غير المسلمين يتأذون من هذا الاصطلاح، فلا أجد مانعًا من استخدام كلمة « المواطنة » أو « المواطن »، فإن الفقهاء متفقون على أن أهل الذمة من « أهل دار الإسلام »، فهم من أهل الدار

وإن لم يكونوا من أهل الملة. وأهل الدار تعنى بالتعبير العصرى « مواطنين ».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص ٤٦)

جـ- الرجوع إلى الإسلام طريق الإصلاح: يتجه خطاب الشيخ نحو تجسيد مشكلات الأمة وصور الخلل فى حياتها، ويتفاعل مع قضايا العصر بطرح آراء فى موضوعات كالعلاقة بالغرب والمرأة والمواطنة، ومن الطبيعى فى ضوء ذلك أن يعود فى كل مرة إلى الإسلام كمثل أعلى، وكحل لكل أدواء العصر؛ بل إنه يرى: أن الحل الإسلامى حل حتمى، وكتب كتابًا بعنوان « حتمية الحل الإسلامى »، وأصدر جزءًا خاصًّا من هذه السلسلة بعنوان « الحل الإسلامى فريضة وضرورة »، وآخر بعنوان « بيانات الحل الإسلامى ». وقد كتب فى هذا الأخير يقول: « إن كثيرًا من المشكلات التى نعانيها اليوم، ونشكو منها، ونختلف فى وصف علاج إسلامى لها، قد لا تبرز أصلاً فى ظل المجتمع الإسلامى الصحيح، بروزها الآن ثمرة لأوضاع غير إسلامية، ونتيجة لمجتمع غير ملتزم بمنهج الإسلام ونظام الإسلام؛ فإذا تغيرت صفة المجتمع، وتغيرت أوضاعه بظهور المجتمع المسلم المتوازن المتكامل -بمقوماته وخصائصه وأوضاعه- تلاشت تلك المشكلات، أو انكمشت، ولم تعد تشكل مشكلة حقيقية ». (بيانات الحل الإسلامى، ص ٢٠٨)

وغالبًا ما يتجه فكر الشيخ إلى ربط الحل الإسلامى بالصحوة الإسلامية، فهو ينتقد مفهومات كالتطرف والإرهاب ويقول: بأن هناك صحوة إسلامية، ولكنه لا يريد بهذه الصحوة الإسلامية أن تنحرف أو أن تفرط فى الغلو؛ بل يريدها صحوة إسلامية راشدة، وكتب كتابًا بهذا العنوان جاء فيه « ... وهذا ينتهى بنا إلى أن العلاج الفذ لما عليه المسلمون من ضعف وتمزق وانحطاط: هو العودة إلى الإسلام الصحيح، كما دعا إلى ذلك المجددون الأصلاء مثل جمال الدين الأفغانى، والكواكبى، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البنا، وصادق الرافعى، وعباس العقاد، وغيرهم من المفكرين ودعاة الإصلاح ». (من أجل صحوة راشدة، ص١٢٠)

ويقوم افتراض الحل الإسلامى عند الشيخ القرضاوى على قناعة بأن الإسلام يقدم حلولاً لكل المشكلات؛ ولذلك فإنه يكتب أجزاء مفصلة عن موقف الإسلام من العلم والفن والحرية والمال، والقوة العسكرية، والصحة العامة، والحياة الطبيعية، والزراعة، والتجارة، والصناعة، وبناء الإنسان الصالح. وهو كثيرًا ما يتخذ من تجربة تركيا التى انجرفت إلى العلمانية على يد كمال أتاتورك ثم بدأت تعود إلى الإسلام، حيث يقول فى نص مطول: « تركيا التى أراد

أتاتورك وحزبه أن يعروها من لباس الإسلام وأخلاقه وتقاليده وأحكامه ولغته وكل ما يمت بصلة إليه، حتى ألغى غطاء الرأس، وحتى الكتابة، فقد جعل غطاء الرأس إجباريًا هو القبعة، وجعل حروف الكتابة هى اللاتينية، ومنع الكلام بالدين ولو فى الأذان، وأباح للمسلمة أن تتزوج اليهودى أو النصرانى، وسوَّى بين الذكر والأنثى فى الميراث، وجعل القوانين كلها غربية لحمًا ودمًا وعظمًا، حتى القوانين التى تسمى «الأحوال الشخصية»، وطوردت الثقافة الإسلامية والعربية، وحورب أهلها؛ بل قوتلوا وقتلوا، وظن الناس أن شمس الإسلام قد غربت عن تركيا إلى الأبد، وأن ظل الإسلام قد تقلص عنهم إلى غير رجعة، ومرَّت على ذلك عشرات من السنين جاءت راكدة، كفيلة بأن تُميت الإسلام فى الصدور، وأن تدب معها عقارب اليأس إلى القلوب. ولكننا لم نزل نقرأ ونسمع عن امتداد قوة التدين هناك، وانكماش الإلحاد والإباحية، وخفض صوتهما يومًا بعد يوم، رغم ما لديهما من إمكانات مادية وأدبية، وما يلقى دعاتها من مساعدات داخلية وخارجية». (صحوة راشدة، ص ١٢٦)

ويؤكد الشيخ القرضاوى على منهج الوسطية كسبيل إلى الحل الإسلامى. وهو منهج يفترض أنه يوازن بين الغلو والتفريط، وبين الجمود والجحود، والتيسير، وإحسان الظن بالآخرين، والحوار بالتى هى أحسن، والتسامح. ويؤكد الشيخ فى خطابه إلى أن دعوته هذه إلى الوسطية ليست جديدة، ولا هى من نتائج ٩/١١ ولكنها أصيلة فى منهجه؛ حيث يؤكد فى كتابه «خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة (ص١٢): «ما نقدمه اليوم ليس جديدًا على نهجنا، ولا هو من ثمرات ١١سبتمبر (٢٠٠١م)، ولذا نجد فيه مقتبسات كثيرة من كتبنا القديمة والجديد اليوم: أن كثيرًا من المسلمين ممن كانوا يعارضون تيار الوسطية: أصبحوا ينادون به ويشعرون بالحاجة إليه، حتى بعض الحكام انتبهوا إلى أهمية هذا الأمر، وضرورة التمسك به، وتربية الأمة عليه، بعد أن كانوا يرفضونه، ويقاومون دعاته».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص١٢)

٣- النقد من منظور إسلامى:

اتخذنا من كتابات المفكر الإسلامى فهمى هويدى نموذجًا على ما أطلقنا عليه الخطاب الإسلامى -ذا الطابع الثقافى الفكرى- فهذا الخطاب لا ينتج من خلال مؤسسة رسمية؛ كما أن صاحبه ليس من رجال الدعوة الإسلامية، وهو لا يصنف على أنه رجل دين؛ وإنما هو كاتب

ومثقف يوجه كتاباته شطر قضايا معينة، ويتخذ من الإسلام قاعدة انطلاق فكرية: فأنت ترى الإسلام يطل فى كل كتاباته. حقيقة أنه لا يذكر الإسلام كثيرًا فى عناوين مقالاته، فمن بين المقالات التى تم النظر فيها لكتابة هذا الجزء وعددها ٥١ مقالاً نشرت بجريدة الأهرام فى الفترة من ٢٠٠٠م حتى ٢٠٠٣م لم ترد كلمة الإسلام إلا مرتين، كما لم ترد كلمة المسلمين إلا مرة واحدة، أما كلمة الخطاب الإسلامى فلم ترد مطلقًا.

ومع هذا؛ فإن النصوص التى ينتجها تنطلق من مسلمات وافتراضات نابعة من الإسلام. ويتجه الخطاب هنا نحو وجهة نقدية خالصة، فهو لا يؤسس لمشروع كما هو الحال فى خطاب الشيخ يوسف القرضاوى، وإنما هو خطاب ممتعض، قانط يلتبث برؤية نقدية وهو يوجه سهام النقد اللاذع، ويستشهد بالأدلة والبراهين التى تؤيد وجهة نظره، ليدلل للقارئ فى النهاية على أن هناك شيئًا خطأ يجب التنبيه إليه، لافتًا للنظر فى بعض الأحيان إلى ما يجب أن تكون عليه الأمور. ومن هنا فقد وصفنا هذا الخطاب بأنه ضرب من النقد السياسى والاجتماعى، يخرج عن الذات المثقفة التى تفترض فى نفسها إنصافًا واستقلالاً؛ ولذلك فإننا نرى الذات حاضرة دائمًا فى هذا الخطاب، فهى ذات ناصحة أمينة لها تجارب وخبرات وأفكار يفترض أنها تصب فى النهاية فى هذا النقد الذى يخرج ممزوجًا بالرؤية الذاتية. وبين هاجس الاستقلال الثقافى (الخطاب الثقافى بوصفه خطابًا مستقلاً)، وهاجس الذاتية (الخطاب بوصفه خطابًا ملتبسًا بالذات الناقدة المتعضة)، وهاجس العقيدة (الخطاب بوصفه خطابًا يتخذ من الإسلام قاعدة للانطلاق)، بين هذه الأضلاع الثلاثة يتشكل الخطاب النقدى لفهمى هويدى.

ويتنازع الخطاب ثلاثة موضوعات: الأول: يتمحور حول القضية الفلسطينية التى يعتبرها الكاتب قضية أولى، وقد يتطرق الخطاب فى **محوره الأول** هذا إلى موضوعات سياسية مستجدة كموضوع أفغانستان والعراق، ولكنه دائم العزف على وتر القضية الفلسطينية. وحتى فى تناول هذه الموضوعات المستجدة يتم ربطها مع القضية الفلسطينية فى إطار نظرة عامة إلى مشكلات المسلمين وعلاقتهم بالاستعمار. **والثانى**: يدور حول « **أحوال المسلمين** » وما أصابهم من تدهور وإخفاق، ويدخل فى هذا المحور تحليله للظلم الواقع على المسلمين، ولقضايا مثل الانتماء والديمقراطية، ونقده للخطاب الثقافى الشائع فى بلاد المسلمين. أما **المحور الثالث**: فإنه يتعلق بالثانى ويُعتبر استمرارًا له، ولكنه ينصب على الأحوال العربية والمصرية.

وعبر كل المستويات الثلاثة: تقف الذات المثقفة موقفًا نقديًّا لا تعبر فقط عن رغبة هذه الذات فى إثبات حيادها واستقلالها؛ بل تعبر أيضًا عن رغبة هذه الذات فى الكشف عن خبرتها، وعن قدرتها على تقديم النصح والمشورة. إذن الخطاب هنا ينتج عن ذات قلقة، أو ينقل ذاتًا ممتعضة، تحيل الأخطاء إلى غيرها، وتفترض آخر: هو الذى يتحمل هذه الأخطاء، والآخر هنا ليس الغرب فقط، بل العرب والمسلمين أنفسهم، الذين بلغهم هذا الإطار الغربى وأشاع فى حياتهم إمكانية التماهى معه.

أ- هاجس فلسطينى: استحوذت القضية الفلسطينية على اهتمام الكاتب استحواذًا كبيرًا؛ فمن بين ٥١ مقالاً -تم تحليلها- احتلت قضية فلسطين ٢١ مقالاً، وإذا أضفنا إلى هذا العدد المقالات التى تعالج قضايا ألصقت بالقضية الفلسطينية مثل قضية « أفغانستان والعراق » لبلغ هذا العدد ٣٣ مقالاً بنسبة ٦١,١٪ من مجموع المقالات.

ويدرك الكاتب هذا الأمر إدراكًا جيدًا حيث كتب قائلاً: « شاءت المقادير أن تبدأ الرحلة وتنتهى بالوجع الفلسطينى.. ومن ثم أدركت أن أى كلام -خارج الموضوع الفلسطينى- هو بمثابة تمرير لما يجرى وإخلال بمبدأ الأولويات، وهو ترف لا نملكه وتخٍّل طوعى عن واجب الوقت ».

وتبدو مشكلة فلسطين فى ذهن الكاتب كنموذج للظلم الواقع على المسلمين، وكنموذج للطريقة التى يخلط بها الغرب بين الإرهاب -الذى يعرض حياة الأبرياء للخطر- والمقاومة الشرعية للاحتلال. وقد دافع المؤلف عن هذا الرأى بوضوح، ودافع عنه بشكل خاص -بعد أحداث ١١ سبتمبر- حيث كتب محاورًا للشيخ القرضاوى قائلاً: « إن المظالم وكبت الحريات فى مقدمة الأسباب التى تؤدى إلى الإرهاب والتطرف، وما يتعرض له الشعب الفلسطينى يعد نموذجًا للظلم الذى يسكت عليه المجتمع الدولى، والذى تسوغه بعض الدول الكبرى. وحذر فى هذا الصدد من « الخلط بين الإرهاب الذى هدد حياة الأبرياء بالخطر، وبين المقاومة الشرعية للاحتلال الذى هى حق مشروع فى كل المواثيق الدولية فضلاً عن التعاليم الدينية ».

وفى تناوله لقضية فلسطين يتفاعل الخطاب مع مجريات الأحداث المرتبطة بهذه القضية. فهو يكتب عن الانتفاضة، وعن المذابح الإسرائيلية، وعن دور العرب، وعن القيادة الفلسطينية...

إلخ؛ ولكن هذه المواكبة للأحداث ترتبط دائمًا بتصويب سهام النقد إلى العرب والمسلمين وإلى القيادات الفلسطينية، وهاهى نصوصه تكشف عن هذا النقد:

- « إذا أردنا أن نأخذ الأمور على محمل الجد، فثمة تقصير عربى ينبغى الاعتراف به فى حق الانتفاضة الفلسطينية التى قلت فى البداية إننا تقاعسنا فى دعمها، وإن داء الفتور أصاب موقفنا منها ».

- « لنرفع رايات الغضب فوق أعيادنا ».

- « نحن بإزاء طور آخر من أطوار التصعيد الشارونى؛ إذ بعد حملة الاغتيالات، وقصف المناطق السكنية.. وبعد اقتحام مناطق السلطة، تظهر فى الأفق عمليات قتل السياسة.. واستراتيجيات التعذيب والتذويب، والعمليات الاستشهادية، ومخطط استئصال الوجود الفلسطينى، وبيع القضية الفلسطينية، وصهينة الكلام حول القضية الفلسطينية... ».

وينسحب نفس الخطاب على الموضوعات الأخرى، فهو إما يوجه سهام النقد، أو يسدى النصائح عند عرض مشكلة أفغانستان ومشكلة العراق. ولا ينطلق الخطاب هنا وهناك من مسلمات فكرية واضحة بقدر ما ينطلق من رؤية نقدية، تنتهى إلى تقرير مصير المستقبل على نحو افتراض أو تشخيص الأحوال أو إسداء النصائح. فهو ينتقد طالبان، لأنهم لم يخالطوا غيرهم من المسلمين، ولو أنهم فعلوا لاختلف الأمر، إنهم على العكس من ذلك « .. أصبحوا يفاجئون العالم كل حين بخطيئة أو حماقة من نوع مختلف ». ويشخص حال أفغانستان -بعد الغزو- بأنه حال فوضى. فكلمة الفوضى « مرشحة بقوة لكى تكون عنوانًا عريضًا لأفغانستان القادمة »، ويصدر أحكامًا على المرأة الأفغانية، حيث يخشى أن تخرج من أصولية الإسلام لتدخل فى الأصولية التغريبية، فتنقل من تطرف إلى تطرف آخر معاكس.. « يعيد أفغانستان إلى نقطة الصفر فى مشكلة خيارها الحضارى ».

وإذ يتناول موضوعًا آخر -كالعراق- فيما بعد الغزو؛ فإنه يربطه بالمخطط الصهيونى. فهو يعرض للسيناريوهات التى يطرحها المخطط الصهيونى فى فترة ما بعد

السقوط، ويحلل المشهد ويكشف عن تجليات الانكسار والتراجع على ما تدل عليه النصوص التالية:

- « طبقًا للسيناريو الموضوع.. فالأمر يختلف فى الحالة العراقية، ذلك أن إغراء النفط العراقى يستعدى وجودًا ضروريًّا للقوات الأمريكية التى لم تذهب إلى العراق لإسقاط نظامها واحتلالها فحسب، وإنما لها أهداف أخرى أهمها أن تضع يدها على مواردها النفطية ».

- « إلى أن يتاح لنا أن نبوح بما ينبغى أن يقال فى استيعاب عبرة المشهد العراقى ودروسه، فربما كان مفيدًا أن نتابع الحوار الدائر حول الموضوع فى إسرائيل -الذى يبدو أنه أوسع كثيرًا مما نظن- فقد اعتبر شارون أن غزو العراق بمثابة زلزال ضرب الشرق الأوسط، وقلب ميزان القوى فيه، الأمر الذى يستدعى إعادة النظر فى كل شىء فيه.. فباحتلال العراق؛ فإن قوة عسكرية عربية خرجت من دائرة الحرب ضد إسرائيل ».

وعن استمرار احتلال القوات الأمريكية للعراق يقول هويدى:

- « إن الولايات المتحدة أدركت أن مشوارها فى العراق لا يزال طويلاً، وأن خبرة الأشهر الخمسة التى أعقبت سقوط بغداد دلَّت على أن العراق لا يزال بلدًا حافلاً بالمفاجآت التى لم تخطر على بال مخططى الحرب.. وأصبح النظام فى حكم المؤجل حتى إشعار آخر».

ب- أحوال المسلمين: يتجه خطاب هويدى بشأن أحوال المسلمين إلى نقد أحوالهم أو نقد الظلم الواقع عليهم، ويعكس خطابه إحساسًا قويًّا بالظلم والقهر، وكأنه يعبر عن وعىٍ قلق مفرط الحساسية تجاه كل ما هو غريب، بل تجاه كل ما هو غربى. فالمسلمون قد وقعوا ضحية ظرف تاريخى، وثمة حرب تدور عليهم بشكل مستمر.. فالعرب والمسلمون من المظاليم فى هذه الدنيا، وهم إذ يفرحون لنصرة أى مظلوم؛ فإنهم يعبرون عما يقع عليهم من ظلم « إذ يحق لنا أن نفرح لإنصاف أى مظلوم، حتى وإن كان على صعيد رد الاعتبار التاريخى؛ فإن فرحتنا ستظل مشوبة بقدر غير قليل من المرارة والحزن، حيث ينكأ المشهد جراحنا الغائرة، ويستدعى من عمق الذاكرة سجل مظلومية العرب والمسلمين، الذين أبيد منهم على مدار التاريخ حوالى ثمانية ملايين إنسان ».

ومع أن الغرب يعد موضوعًا حاضرًا فى الحديث عن الظلم الواقع على المسلمين؛ إلا أن هذا الغرب يتجسد رمزيًّا فى الهيمنة الأمريكية، -وخاصة فيما بعد الحادى عشر من سبتمبر- فلم يعد العالم « محكومًا بلون واحد رأسمالى/ غربى، كما قيل بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وإنما أصبح عالمًا أمريكيًّا بامتياز؛ إذ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى المهيمنة وصاحبة الكلمة الأخيرة فى شئون العالم ».

ويمتد وعى الكاتب إلى تحليل آثار هذه الهيمنة على العرب والمسلمين. فالمسلمون يتعرضون للظلم طيلة حياتهم، ولكن أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد أدت إلى ازدياد الجرأة عليهم. فقد اجتاحت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بعد هذه الأحداث لوثة « استهدفت الفتك بكل ما هو عربى أو إسلامى.. حيث تضاعفت الكتابات التى تجرح الإسلام وتعاليمه ». ويقول فى مكان آخر:

« بعد أحداث ١١ سبتمبر ازدادت الجرأة علينا واتسع نطاقها، فى السابق كان الذى يهاجم الإسلام والمسلمين نفر من المتخصصين، إلى جانب الأبواق وثيقة الصلة بإسرائيل، لكننا بعد ذلك التاريخ بدأنا نسمع أصواتًا لبعض السياسيِّين... ». كما تحدث فى هذا السياق أيضًا عن اللوثة الغربية وما وراءها بعد ١١ سبتمبر، فقال:

« إنهم يريدون إسلامًا معدلاً...، والحروب الثلاث ضد الإسلام والمسلمين، واستيراد الفتاوى من أوروبا (أيرلندا)، والغزو الفكرى الثقافى الذى بدأ، والعلمانية غير الذكية، وإلى متى سنظل بلا ألسنة، والقهر الثقافى باسم الاندماج... إلخ ».

وإذا كان ثمة هجوم على المسلمين، وثمة ظلم واقع عليهم؛ فإنهم أيضًا يتحملون جزءًا من المسئولية. لقد تحول المسلمون إلى جزء من الواقع الغربى نفسه إلى درجة أن ذكر عنوان « المسلمون والغرب » لم يعد كافيًا للتعبير عن هذه العلاقة؛ لأن « المسلمين صاروا جزءًا من الغرب، بمعنى أنهم صاروا فيه وليسوا خارج محيطه أو فى مقابله ». وهم إذ يقفون هذا الموقف؛ فإنهم يقصرون فى أداء دورهم، وفى تقدير إمكاناتهم، وفى ردود أفعالهم. والعرب من بين المسلمين، هم أكثر الناس تقصيرًا، حيث أصابهم الفتور؛ وهاهى عباراته تتحدث فى أكثر من مكان عن الفتور العربى:

- « إذا أردنا أن نأخذ الأمور على محمل الجد، فثمة تقصير عربى ينبغى الاعتراف به، وأن داء الفتور أصاب موقفنا العربى ».

- « لكننى أخشى من ذلك داء الفتور اللعين الذى لا أعرف كيف نبرأ منه ».

- « لا يستطيع المرء أن يخفى دهشته إزاء الفتور العربى؛ الذى قوبلت به مساعى الملاحقة القانونية للمسئولين عن مذبحة صبرا وشاتيلا ».

ويعلق على رد السفير الفرنسى على الدعوة الإسرائيلية لحضور احتفال ذكرى إنشاء إسرائيل فيقول: « كتب الدبلوماسى الفرنسى على الدعوة العبارة التالية: « أعيدوا غزة والضفة الغربية والقدس للفلسطينيين.. فلماذا فعلها الفرنسى وزهد عن المسألة بعض العرب؟ ».

وثمة تفسير لهذا الفتور العربى والإسلامى، فهو ناتج عن عجزهم وغياب دورهم الرسمى وغير الرسمى. ويأخذ نموذجًا على ذلك من سلوك جماعة طالبان التى لا تخالط الناس « فلو أنهم خالطوا غيرهم من المسلمين، وشاركوا فى المنتديات والملتقيات التى تعقد بين الحين والآخر فى أنحاء العالم العربى والإسلامى، ولو أتيح لنفر منهم أن يواصلوا تعليمهم فى معاهدنا وكلياتنا... ولكننا أوصدنا الأبواب فى وجوههم ». وعلى نفس المنوال يلقى باللائمة على المؤسسات الدينية وعلى رأسها الأزهر؛ « فغياب الأزهر وتراجع تأثيره فى العالم الإسلامى أحدث فراغًا تمددت فيه العديد من مدارس الغلو والشذوذ الفكرى، ونمت فيه عشوائيات أضرت كثيرًا بسمعة الإسلام ».

جـ- قضايا عربية ومصرية: ومن قضايا المسلمين بعامة، وعلاقتهم بذوى السلطان الأكبر من حولهم، إلى قضايا العرب ومصر وشعبها، والحقيقة أن كل القضايا التى يعالجها الخطاب الناقد لفهمى هويدى على مستوى العالم الإسلامى.. هى قضايا تمس مصر أيضًا؛ فهو عندما يتناول قضية -كقضية الانتماء- يشن حملة على روح التغريب التى سرت فى حياة الأمة واقتلعت « الكثير من الأعمدة والوشائج. وأصبح الانتماء إلى الأمة العربية فضلاً عن الإسلامية.. يقابل بالاستغراب والاستهجان، الأمر الذى يبدو فى ظله الاحتفال بالقرن الميلادى والتهوين من شأن القرن الهجرى نتاجًا طبيعيًّا لا غرابة فيه ». لقد اتخذ الخطاب فى هذا المثال حادثة الاحتفال بالقرن الميلادى على مستوى العالم، ليناقش قضية الانتماء فى الوطن العربى كلية. إنه ينتقل من العام إلى الخاص، ويسحب النقد على العالم العربى كله بما فيه مصر بطبيعة الحال. ويُعد ذلك منهجًا واضحًا فى تناول هذا الخطاب النقدى للقضايا العربية والمصرية، فعندما قررت فرنسا منع الحجاب الإسلامى فى المدارس الفرنسية، يتناول قضية الحجاب، وينتقد الفكر العلمانى، وينظر إلى نقد الحجاب كجزء من التدخل الغربى فى العالم الإسلامى، حيث اعتبر أنصار العلمانية الحجاب « حدًّا فاصلاً بين الولاء للجمهورية والانقلاب عليها ».

وقد يبدأ النقد من حدث داخلى ليتناول قضية فكرية أو ثقافية أو سياسية، فعندما انتشرت فى مصر الدعوة إلى التنوير، وبدأت تعقد الندوات حول التنوير، وأصبح المصطلح يدور على ألسنة بعض المثقفين، نجده يوجه سهام النقد إلى مصطلح التنوير والحركة التنويرية والاستنارة ويصفها بأنها «استنارة مظلمة»، وينتهى إلى أن هذا المفهوم مفهوم مستورد من الغرب، وأنه يستخدم بمعنى غامض ومتحيزٌ، وأن التنوير ظُلم على يد دعاة التنوير وعلى يد المناوئين له، وينتهى بأنه لا يعرف بالضبط من ظلم التنوير أكثر من الآخر: «الذين يرفعون رايته أم الذين يتربصون به». وعلى نفس المنوال ينتهز فرصة الانتخابات فى مصر ليتحدث عن الديمقراطية معلنًا «موت السياسة فى مصر». فهو يقارن بين الانتخابات فى مصر ونظيرتها فى المكسيك. ويأخذ من قضية ازدواج الجنسية موضوعًا للهجوم الساخر على الطريقة التى يتم بها اختيار نواب الشعب، ويسأل: كيف يمكن أن يكون المرء نائبًا عن الشعب المصرى، بينما هو فى الوقت نفسه محسوبًا على شعب آخر؟ وهل يجوز للشخص أن يتولى منصبًا عامًّا فى مصر وله ولاء موازٍ لبلد آخر؟.

وبهذه الطريقة يتفاعل الخطاب مع الأحداث، ولا يترك قضية دون التعامل معها؛ ولكنه يحتفظ بوجهته الأساسية التى تتخذ من هذه الأحداث نقطة انطلاق لتوجيه سهام النقد إلى سياسات أو أفكار أو رجال. وتبدو الذات الناقدة هنا وكأنها متعالية على الجميع؛ فهى ليست ناقدة للآخر الغربى فقط، ولكنها ناقدة للآخر الداخلى بنفس القدر. وتضع الذات فى هذه الحالة سدًّا منيعًا بينها وبين أضرابها وبنى جلدتها، لكى تصبح ذاتًا مستقلة، متميزة، لا يلوثها ما يلوث الآخرين الذين تمتد إليهم سهام النقد.

د- آليات الخطاب الناقد: ينتج الخطاب هنا من ذات ناقدة، فيكون النقد آليته الأساسية. ورغم أن النقد يحاول أن يستقل بالذات عما سواها؛ فإنه يعكس أصداء هذه الذات وشجونها، فيأتى نقدًا ذاتيًّا خالصًا.

٤- الخطاب الدعوى الجديد:

اندمج الخطاب الإسلامى اندماجًا كاملاً فى منظومة الاتصال الجماهيرى، والاستهلاك الجماهيرى، وأصبحت عملية إنتاجه كخطاب دينى وثقافى ترتبط ارتباطًا شديدًا بعملية الإنتاج الاقتصادى للمصنفات الثقافية. وتلك قضية تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصى.

وإذا كانت هذه القضية يمكن أن تطرح فى درس عملية إنتاج الخطاب الدينى قاطبة؛ فإنها تطرح بشكل أقوى فى درس الخطاب الدينى للدعاة الجدد، وعلى رأسهم الداعية عمرو خالد الذى نخصص له هذا التناول المختصر. فالخطاب هنا يمتزج امتزاجًا كبيرًا بثقافة الاستهلاك بما تفرضه من ترويج للصور والرموز، وبما تؤطر له من نماذج البطولة والمثل العليا. فى هذه المنظومة يتحول الداعية إلى نجم إعلامى، تتوازى طلته الدينية مع طلة النجوم الآخرين القادمين من عوالم أخرى غير العالم الدينى. هنا تتداخل الحقول، تنصهر الأدوار، ويصبح كل شىء قابل للتحول إلى كل شىء.

وإذ يمتزج الخطاب بالثقافة الاستهلاكية على هذا النحو؛ فإنه يكيف نفسه مع كل مستجد ومستحدث، ويقدم نفسه بشكل متغير وجديد، ويطرق موضوعات الساعة وما بعد الساعة. ويتعامل مع مشكلات الواقع بشكل جرىء، ويتناول موضوعات جيل المستقبل من الشباب، ويتحدث بشكل عملى براجماتى. وهنا نجد أن الخطاب لا ينطلق من رؤية عامة، أو من استراتيجية عامة، بقدر ما يتناول موضوعات عامة ومشكلات متفرقة تتوافق كثيرًا مع المعطيات الحداثية القائمة، وتعكس روح العصر، وتعمل على دفع المتلقين إلى الاقتناع بأن لا تعارض البتة بين الدين والحياة المعاصرة، وأننا نستطيع أن نلبس الحياة المعاصرة رداءً دينيًّا خالصًا.

وثمة خصيصة مهمة ترتبط بهذا الخطاب الدعوى الجديد: هى أنه خطاب يُنتج أساسًا من خلال التليفزيون. فهو ليس خطابًا مبثوثًا فى كتب أو صحف بقدر ما هو رسائل عبر هذه الوسيلة الاتصالية الفعالة. فهو يأتينا فى شكل برامج تليفزيونية، أو فى شكل محاضرات عامة تدعو إليها بعض الجهات، ويحضرها حشد غفير من الشباب. وتتوافق هذه الوسيلة مع طبيعة هذا الخطاب وأهدافه، فهو خطاب سريع يقدم فى شكل جرعات منظمة -درست بعناية- لكى يكون لوقعها على القلوب والعقول وقع السحر، وخاصة أنها تقدم عبر تقنيات الاتصال الحديثة التى تحول الواقع إلى صور وخيالات، وتضفى عليه ضروبًا مختلفة من التجميل والتبهيج. وما إن تُقدم هذه النصوص فى البرنامج التليفزيونى حتى تجد لها منافذ أخرى وقنوات أخرى للنشر. فهى تنشر فى كتب وعلى شرائط واسطوانات مدمجة، وتوضع على شبكة الإنترنت، فيتسع جوهرها، ويضفى عليها مزيدًا من الهيبة والاحترام.

ولذلك؛ فإن ما قمنا بتحليله فى هذا الجزء ما هو؛ إلا نصوص برامج تليفزيونية قدمها الداعية عمرو خالد، وقد اخترنا اثنين من هذه البرامج أحدهما بعنوان « حتى يغيروا ما بأنفسهم »، والآخر برنامج « صناع الحياة ».

ويتخذ الخطاب طابعًا تحفيزيًّا خالصًا، فيسخط على الواقع الحاضر سخطًا جمًّا، ويلفت النظر إلى عظمة الماضى، وذلك من أجل تأكيد أن النهضة ممكنة فى المستقبل. هذه النهضة تصبح ممكنة لو أننا غرسنا فى أنفسنا منظومة للقيم، وحاولنا أن نتغلب على المشكلات التى تلقيها علينا الحضارة. وعبر هذه المنظومة الخطابية يمتد الآخر الغربى ويتربع، إما من أجل المقارنة، أو من أجل توضيح الموقف وأسس تحقيق الاستقلال عنه. ولا يتبع الخطاب بالضرورة هذه المنظومة؛ ولكنها مستخلصة من جماع قراءة النصوص، وهى وسيلتنا لتجميع خيوط هذا الخطاب وسبر أغواره.

أ- الحاضر: السخط والقنوط: يشن الخطاب حربًا شعواء على تخلف الحاضر الإسلامى، وعلى حالة الخمول والكسل التى تضرب أرض المسلمين. ويقبل المبالغة فى تشخيص هذا الحاضر إلى درجة؛ أنه ينكر على المسلمين الشهادة على الناس، وهى إحدى الرسائل المنوطة بوجودهم بحكم النص القرآنى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: آية ١٤٣].

ويعمل الخطاب على تصوير الواقع على نحو مبالغ فيه، قد يصل أحيانًا إلى حد محاولة إحداث صدمة لدى المشاهدين والمستمعين.. وعلى سبيل المثال؛ فإنه يقرر فى إحدى حلقات برنامجه بأننا أمة تموت وتخرج من التاريخ. ويقرر فى هذا الصدد بأنه يخشى أن يأتى الله يوم القيامة بأمة محمد منذ عصر النبوة وحتى يوم الدين لتشهد على البشرية، فيستبعد جيلنا ويقال لنا: أنتم كنتم خارج التاريخ، أنتم لم تكونوا شهداء على الناس. فالله لا يرضى -وهو العادل الذى لا يظلم أحدًا- لن يرضى بشهادة من لم ير ولم يسمع، ولم يكن له حضور. وهو يدلل على عدم الحضور هذا -أو قل التخلف- عبر أمثلة عديدة من الموضوعات التى يتطرق لها، وعبر مقارنات مع الدول المتقدمة فى الغرب، فهو دائمًا يقول هم عندهم كذا ونحن عندنا كذا. ومن ثم فإن تحليله لواقع المسلمين يبدو تحليلاً معياريًّا يتخذ من الغرب الذى توجه إليه سهام النقد عادة نموذجًا للتطور والتقدم. وهو فى كل الأحوال يسأل المسلمين: لماذا لا يتدبرون أمرهم على

نحو ما توحى به هذه العبارة: « ألا تخافون أن يسألنا ربنا يوم القيامة: ألم أهبكم العقل، فأفضلكم به على سائر المخلوقات، فلم عطلتموه واستوردتم إبداع غيركم؟ » إن الخطاب هنا يبدو خطابًا استنكاريًّا يستنكر على المسلمين أحوالهم، ويضعهم فى مقابلة مع نظرائهم من الشعوب التى تقدمت، وكأن الخطاب يريد أن يشحذ الهمة ويستنفر الهمم من أجل نهضة مرتقبة. وهكذا ينبذ الواقع ويستهجنه فى مقابل المثال الذى يطرح نماذج للسلوك والعمل نحن لا نستطيع أن نطاولها.

- فهذا طالب اليابان الذى يخترع الموتور أثناء دراسته للدكتوراة فى أمريكا، فيعود إلى بلده قبل حصوله على الدكتوراة؛ ليقدم اختراعه الذى أحدث ثورة، وهى قصة يضعها أمام ما رواه أحد أساتذة الجامعة المصرية والتى تقول بأننا: « نعمد إلى دراسة المشاكل التى تم حلها سابقًا، فنعيد مشكلتها ليقدم فيها الطالب رسالة جديدة. فقد صار هدفنا منح الشهادات لا حل المشكلات، وبالتالى سنبقى ضائعين دومًا ».
- ويتحدث ساخرًا عن الهواتف الجوالة -موجهًا خطابه إلى جماهيره- قائلاً: « أتفرحون لأن معكم أحدث طراز للهاتف الجوال؟ لا تفرحوا، فما أنتم إلا مستهلكون للتكنولوجية، ولستم منتجين لها ».
- وعن التقدم فى الفنون والآداب والثقافة، يستنفر الخطاب المتلقين بأسلوب غير تقليدى قائلاً: ما هى ملامح أمتنا اليوم؟ ويجيب بشكل سريع: إنها ليست لها ملامح. ويخاطب الأمة قائلاً: « انظرى يا أمتنا إلى المرآة لتتعرفى على ملامحك.. ومرآتنا هى ثقافتنا: تخيل أنك نظرت فى المرآة يومًا ولم تر ملامحك؛ فماذا سيحدث لك؟ سوف تفقد عقلك وتصرخ قائلاً: أين ملامحى؟ وأنا أصرخ اليوم وأقول: الثقافة والفنون التى تعبر عن ملامح أمتنا: أين هى؟ أين ملامحك يا أمتى؟ » وبعد هذا التدليل الصارخ بالأمة غير ذات الملامح يأتى الحديث الهادئ عن أوروبا أيام النهضة، وكيف كان فنها وأدبها وثقافتها تواكب هذه المرحلة وتدفع بالأمة إلى الأمام. ويتحدث أيضًا عن ألمانيا بعد الحرب العالمية وكيف حققت نهضتها خلال عشرين سنة. ويستخلص من ذلك درسًا، مؤداه أن الحلم عندما يسيطر على عقول الناس لابد أن يتحقق، ويقرر بأن هذه قاعدة.

ويميل الخطاب إلى **نقد أساليب سلوكية تنتشر بين الناس، فهو يتخذ من النقد**

الاجتماعى أسلوبًا لكشف زيف الواقع الحاضر الذى نعيش فيه. وتدل على ذلك نصوص عديدة نسوق بعضها فيما يلى:

- شباب ينام فترات طويلة. ولا يجرؤ على إيقاظه أحد... بنات تظل بالساعات تضبط ماكياج... نساء كل يوم لها ٣ أو ٤ ساعات تسوق وتلف فى المحلات... أو جلسات نميمة فى الأندية... أو مكالمات بعد منتصف الليل... ونتصور أننا سننتصر... هيهات.. إنك لا تضيع نفسك فقط... إنك تضيع أمة... تسيئ إلى والديك حتى إذا أفقت، كانا قد فارقا الدنيا فتندم أنك لم تبرهما أحياء...

- موظف فى مصلحة يعطل مصالح الناس ويقهرهم ومنهم أرامل ومطلقات وعجائز... موظف يتحمل المهانة من رئيسه فى العمل من أجل لقمة العيش... أمة تداس أرضها وتدنس وتغتصب... والأمة ساكتة لا تتحرك لقد ضاعت منا العزة.

- شركات تقدر الخبير الأجنبى، وتعامله معاملة غير تلك التى يعامل بها خبير بنفس الكفاءة ولكنه من بنى الجلدة... كنت مرة فى طائرة -تأخرت عن موعد إقلاعها- وكان على الطائرة عرب وأجانب، فمر واحد من طاقم الضيافة يعتذر للأجانب واحدًا واحدًا، ولم يفكر أحد أن يعتذر لنا. ومن هنا ينمو شعور بتقبل المهانة... فلما تضيع القدس... أو يقتل العراقى... لا مانع.

- المواطن العربى يمضى ٦٠٪ من يومه فى مشاهدة التلفاز، و٢٨٪ فى أشياء لا قيمة لها، وينام فى الثانية أو الثالثة صباحًا، ويستيقظ فى العاشرة. المواطن الغربى يستيقظ فى السادسة صباحًا، وينام فى العاشرة مساء، ولا يعرف اللهو إلا فى عطلة نهاية الأسبوع. المواطن الغربى يقرأ وهو فى وسائل المواصلات، أو أثناء انتظاره للطبيب. المواطن العربى وقته ضائع فى لعب على الكمبيوتر، أو الدردشة (شات)، أو التنزه بالسيارة على غير هدى، أو الأكل، أو الجلوس فى المقاهى، أو التحدث لساعات فى الهاتف...

وغالبًا ما يتجه هذا النقد للواقع إلى **المقارنة بالغرب**. وقد قدمنا نماذج من ذلك قبل قليل، ولكن هذه القضية تحتاج إلى نظر، ونحن بصدد هذا الخطاب. فالغرب هنا ليس مصدرًا للشر، وليس مصدرًا للسيطرة والهيمنة والاستغلال، ولكنه نموذج لكل شىء جميل، وهو دائمًا حاضر فى عملية المقارنة:

- كان بينى وبين أجنبى موعد، فتأخرت عليه قليلاً فى الوصول، وحين التقينا ابتدرنى سائلاً: هل أنت مسلم؟ قلت نعم، قال: هل تصلى؟ قلت نعم.. قال: هل حججت؟ فأدركت ما يعنى، وشعرت بحرج شديد.. وكأنه يتهمنى فى دينى لأنى لم أقدِّر قيمة الوقت وألتزم بموعدى. إن إقامة الحجة على ابن آدم يوم القيامة مرتبطة بالوقت.

- إننى أحاول أن أبذل مجهودًا لأجعلكم تؤمنون وتصدقون أن للوقت قيمة عظيمة، مع أن هذا المعنى مستقر تمامًا فى عقول أهل الغرب؛ ولذلك يسبقوننا... ونقول فى المثل «الوقت من ذهب»... لا واللّٰه: الوقت أغلى من الذهب... فالذهب يباع ويشترى، أما الوقت فإذا ذهب لا يعود... إذا ضاع وقتك ضاع عمرك...

- للأسف: أصبح كل أدائنا للأعمال تحت بند: أى كلام.. أى أداء.. شىء يؤدى الغرض والسلام، وكل شىء؛ مذاكرة الطالب، صناعة الصانع، تدريس المدرس، كل مجالاتنا لا تحمل طابع الجودة والإتقان، بل الاستعجال والتسيب والفهلوة، مع أن الإتقان سنة حياة المسلمين، قال رسول اللّٰه (ﷺ):« إن اللّٰه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ». الغرب أخذ هذا الشعار مبدأ، ولذلك سادوا وتقدموا؛ لأن القيادة مرتبطة بالقوانين.. فهيا بنا نتخلق بالإحسان، ونتخلق بالإتقان.

- إن حالنا ينقصه الكثير والكثير.. الجدية أصبحت صفة مفتقدة.. لقد ساهم الكبار فى ضياعها.

- إن الأمة تترهل... هل يعقل أن يكون متوسط ساعات العمل اليومية الفعلية فى الغرب من ٨ إلى ١٠ ساعات، وأن يكون متوسط ساعات العمل الفعلية اليومية فى الأمة العربية على أحسن الدراسات ١٢ إلى ١٣ دقيقة، والبعض هبط بها إلى ٥ دقائق.

- هل يعلم المدرس الذى لا يشرح فى الفصل -ويرى التلامذة تخرج وتهرب من المدرسة- أنه يقتل الأمة؟!... أولياء الأمور الذين يطلبون من المراقب فى الامتحان أن يكون رحيمًا ويترك الفرصة للأولاد أن يتعاونوا، أو نقولها باسمها الحقيقى: يغشوا.. هل يتصورون ما يفعلونه بأنفسهم وأمتهم؟ وأكثر من ذلك الأب أو الأم هما اللذان يساعدان أبنهما على عمل البرشامة التى سيغش منها.. الغش ليس كلمة بسيطة وليس مشكلة هينة.. هذا التحايل على الحصول على ما نريد، يصبح صفة لصيقة، ومن هنا انهارت أمتنا، وارتفعت الأمم الغربية... إنهم لا يغشون ولا يكذبون.

- علاقات الأولاد والبنات... هل هذا معقول؟!! أليس هناك ما يستحق الاهتمام غير حبهم لبعض فى التليفون وفى النادى طول النهار؟!...

- قال لى صديق: كنت أسير فى الطريق، فسمعت شابًّا يصرخ فى أبيه فى التليفون غضبانًا لأن أباه اشترى لأخيه سيارة من ماركة كذا وهى باهظة الثمن جدًّا، ولم يشتر له واحدة مثلها... وأردف صديقى: لقد بكيت وأنا أسير وحدى؛ بكيت على أسلوبه فى الكلام مع والده، وبكيت على اهتماماته وأخوة له تُذبح وتُقتل ولا تجد ما تأكل. لماذا استوردنا أسوأ ما عند الغرب وتركنا أسباب نجاحاتهم؟. نحن نتناسى تمامًا فترة النهار فى حياة الشباب الغربى وجديتها الشديدة فى العمل، ولا نراهم إلا بعد العودة إلى البيوت وبداية انحرافاتهم واستهتارهم.. من الميوعة أن نرى شابًّا يرقص فى فرح ويتمايل... والشباب والبنات سويًّا أمام أى مطرب متلاصقين يتمايلون... رأى سيدنا عمر بن الخطاب شابًّا يسير باستهتار فاقترب منه سائلاً: أمريض أنت؟! فقال الشاب: لا... فعلاه سيدنا عمر بالدرة -أى ضربه بعصًا كانت معه- قائلاً: أما نحن؛ فلا نرضى لأمة محمد أن تمشى هكذا.

- إذا أحببتم الغناء غنوا ما يُعلى همة الأمة.. وكفانا ميوعة.. نحن لا نتكلم فى حلال أو حرام، نحن نتكلم عن خلق يرتقى بالأمة وينقذها من استكمال طريق الانهيار. انظروا إلى ألمانيا.. اليابان.. وكيف استطاعت هذه الدول أن تقف على أقدامها بعد حروب طاحنة أتت على بنيتها الأساسية؟! بالجدية طبعًا.

ب- الماضى المزدهر: إن تصور خطاب عمرو خالد للواقع الراهن يمكن أن ينتهى إلى حالة من الإحساس بالعجز واليأس. ولكن الخطاب يستدرك بالحديث عن عظمة الماضى، وعن إمكانية العمل فى المستقبل، فيبعث الأمل من جديد فى نفوس مستمعيه. وفى ضوء ذلك يجسد الخطاب ماضى المسلمين على أنه ماضٍ عظيم؛ حقق المسلمون فيه نهضة عظيمة.. فأمتنا « أمة عريقة جدًّا، وأرضنا كانت مهدًا للحضارات منذ زمن بعيد جدًّا كالحضارة الفرعونية والأشورية والفينيقية. ثم جاء الإسلام واستوعب كل الحضارات، وأخذ المفيد منها، وهذبه ووجهه وصهره فى بوتقة الإسلام. فعمرو بن العاص عندما دخل مصر لم يهدم الأهرامات أو أبا الهول، لكن جاء القرآن يعلمنا كيف نستفيد من هذه الآثار، وكيف نعتبر من قصص الأمم السابقة، وجمع الإسلام كل هذه الثقافات ».

وفى هذا الإطار؛ فإن رجال الأمس يصبحون أفضل من رجال اليوم، والصحابة هم المثل الأعلى دائمًا. فقد كانوا « يضحون بكل شىء؛ لأن حلمهم كان المدينة المنورة، وكان الثمن أن يتخلوا عن ممتلكاتهم، فالحلم كان أكبر من كل هذه الممتلكات، فجاءت المدينة المنورة، ومنها جاءت الفلوس والأولاد والممتلكات وكل شىء؛ وذلك لأن الحلم كان غاليًا جدًّا ». ويؤكد فى نص آخر « إن الصحابة فى المدينة المنورة كانت لديهم رغبة فى النهضة، ونية صادقة ومخلصة فى نشر دين الله، وحكم الله فى الأرض، وبعد عشرين أو ثلاثين عامًا، جاءت الإمكانية، وقامت النهضة وصارت دولة الإسلام مترامية الأطراف، ممتدة من المحيط إلى المحيط. وحصل عكس ذلك بعد حوالى ٥٠٠ عام؛ إذ كانت الإمكانية موجودة، ولكن الرغبة زالت، فبدأ الانحطاط ».

ويميل الخطاب إلى سرد قصص من الماضى تدل على عظمة هذا الماضى وازدهاره؛ فيحكى عن عمر بن الخطاب حين يقول: « متى أنام؟! فإذا نمت بالليل أضعت حق ربى، وإذا نمت بالنهار أضعت حق الرعية ». ويحكى عن المعتصم الذى يهدد ملك الروم بإرسال جيش جرار له؛ لأن امرأة مسلمة أهينت فى أحد الأسواق، ويؤكد الخطاب فى نهاية رواية قصة المعتصم بحديث عن الكرامة وكيف أن « كرامة امرأة واحدة مسلمة تسير لها الجيوش »، وكثيرًا ما ينهى القصة بالرجوع إلى الوقت الحاضر مقارنًا وناصحًا.. ففى نهاية رواية قصة المرأة التى استصرخت المعتصم يقول: « آه لنساء المسلمين تذبح وتغتصب ولا مغيث ». -وفى نفس الإطار- يحكى قصة عبد الله بن الزبير بن العوام الذى لم يفر من أمام عمر بن الخطاب وكان عمره سبع سنوات، مثلما فعل بقية الصبية، وأورد الحوار الذى دار بينه وبين عمر بن الخطاب، والذى انتهى بأن أكد الصبى لعمر أنه لم يخلق ليلعب وإنما خلق ليعز الإسلام. ويحكى قصة بين المهاجرين والأنصار فيقول: « واسمعوا معى هذه القصة التى تكررت بين المهاجرين والأنصار.. سعد بن الربيع، وعبد الرحمن بن عوف، رجلان من بلدين مختلفين لم يلتقيا من قبل ولا يعرف أحدهما الآخر.. ولكن رسول الله ﷺ آخى بينهما.. فجاء سعد إلى عبد الرحمن بنصف ماله وملابسه وقسّم بيته بينهما.. ما هذه العظمة؟! الفرق أنهم كانوا يسمعون الآيات فتكون واجبة التنفيذ.. إنما المؤمنون أخوة.. سمعًا وطاعة، فى غزوة بدر يأسر أحد الأنصار شقيق مصعب بن عمير -وكان يحكم وثاقه- فلما مر بهما مصعب خفف من حدة القيد محبة له وإكرامًا له فى أخيه.. أخوة الدين أعلى من أخوة الدم، إذا كان أحد الأخوة كافرًا؛ هل نشعر بذلك الآن؟.. هل دم إخوتنا فى العراق يحرمنا النوم؛

لأننا أخوة بحق؟.. هل البيوت التى تنهدم والأطفال التى تداس تحرق قلوبنا وأكبادنا؛ لأن المصاب فى بيتى؛ لأنه فى بيت أخى؟.. اسمعوا معى كيف بلغت هذه الأمة فى يوم من الأيام قمة العالم»..

يتحول الماضى فى إطار هذا الخطاب إلى شىء أشبه بالكنز الذى نغترف منه العظات والوصايا، وهو ماضٍ نقى لا تشوبه شائبة، ويترك المستمع فى هذه الحالة وهو يقارن بين ماضيه المشرق وحاضره المتخلف، وحاضر الشعوب الأخرى المزدهر، فتتدفق فى نفسه الحسرة على ما يجرى، والتى قد تدعوه إلى أن يتمسك بالإسلام. يظهر الماضى فى الخطاب هنا ظهورًا رمزيًّا يدل على أن ثمة أملاً فى المستقبل، وأن الذى صنع الماضى يستطيع أن يصنع الحاضر.

جـ- المستقبل: يبدو أن الاهتمام بتصوير الماضى الزاهر للصور الإسلامية الأولى، وتصوير الحاضر البائس للمسلمين، يحاول أن يشكل من هذه النصوص أساسًا للحفز والاستنهاض للتوجه إلى المستقبل. ونصادف هنا رؤية واضحة للطريقة التى يتم بها التغيير. فلسنا هنا بصدد دعوة إلى ثورة على الأوضاع القائمة، أو رؤية فلسفية أو استراتيجية عن شكل التغيير وحجمه، ولكننا بصدد فكرة بسيطة مفادها أن الإنسان إذا ما اقتنع بفكرة ما مكونًا حلمًا حول هذه الفكرة؛ فإنه قادر على تنفيذها. فالفكرة والحلم بتنفيذهما هو الطريق إلى تغيير الواقع. فما من «إنسان يؤمن بفكرة، بحيث تملأ كيانه كله، ويصر عليها، ويعيش لأجلها، إلا واستطاع أن يحققها فى النهاية». فكأن التغيير يأتى من داخل الأفراد لا من خارجهم، فهم إذا غيروا ما بأنفسهم؛ فإن ما حولهم سوف يتغير.

وبداية طريق التغير هذا تبدأ من اعتزاز الفرد بنفسه وبدينه، ومن اعتناقه للإسلام الذى يمنحه العزة. «فما زلنا فى طريق التغيير حتى يمن الله علينا بالمعونة والعطاء.. وتخيلوا لو كل الأمة نوت التغيير أكيد سنصل فى يوم من الأيام إلى ما نصبو إليه. واليوم بعد أن قلنا لا للسلبية، نعم للإيجابية، ولا للميوعة، نعم للجدية، يجب أن نقول: لا للذلة، نعم للعزة. المؤمن عزيز. عزيز بنفسه ودينه وبقرآنه ووطنه.. لا يقبل الإهانة أبدًا.. والإنسان يهين نفسه بالميوعة.. يهين نفسه بالمعصية.. يهين نفسه بالسلبية - بعدم الاهتمام بأحوال المسلمين.. حين يعتبر أن لقمة العيش أغلى من كرامته فيأكلها مغموسة فى إهانته.. نحن أمة أراد الله لها العزة. فكيف نرمى عزتنا ونزرع ذلنا بأيدينا. أتعرفون كيف نزرع الذلة فى النفوس؟» فالفرد «يجب أن يكون

عزيزًا لتصبح الأمة عزيزة.. هذا هدف استراتيجى كبير، ولا يوجد مصدر للعزة إلا مصدرًا واحدًا. مصدر العزة هو الله سبحانه وتعالى، قال (تعالى): ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة فاطر: آية ١٠].

وإذ يدفع الخطاب مستمعيه إلى الحلم؛ فإنه يصور لهم أحلامًا فعلية. تبدو هذه الأحلام للمستمعين على أنها واقع يمكن تحقيقه، ولكنها تظل -على المستوى الخطابى- أحلامًا متخيلة. وتبدو الأحلام المتخيلة هذه، وبالطريقة التى تعرض بها، وكأنها أحلام قريبة المنال يمكن تحقيقها بسهولة. ومن هنا يمكن أن نفسر الانجذاب الكبير إلى الاستماع إلى هذا النوع من الخطاب. فالخطاب يقدم للأفراد أحلامًا، أو قل: إنه يبيع لهم أحلامًا جاهزة، تُضاف إلى أحلامهم، أو قل تلغى أحلامهم، فتتحقق السعادة المرجوة، وتبدو الآمال وكأنها قريبة. ولنتأمل الطريقة التى تسرد بها الأحلام، والتى تدعو الشباب إلى أن يتخيلوها:

- « تخيل الشباب يقوم بعمل مشاتل.. تخيل أزمة المرور فى شوارعنا تبدأ من الرابعة صباحًا؛ لأن الناس تذهب إلى عملها بعد صلاة الفجر.. تخيل السائحين لاحظوا أن الناس فى بلادنا أصبحوا مبتسمين وزال العبوس والاكتئاب من الوجود، فقد عرفوا أن السعادة أصلها الإنتاج والنجاح الذى جعل الرأس تكون مرفوعة.. تخيل.. تخيل.. هذه الأشياء التى ذكرتها ليست خيالات.. أدْخلها إلى عقلك واجعلها ملء عينيك.. اجعل كل هذه الأشياء حية أمام عينيك وانظر لها.. انظر إلى الطرق الخضراء، وإلى الشباب المنتج، وإلى العنوسة التى قلَّت، وإلى الهيافة التى اختفت، وإلى الأغانى الفيديو كليب التى لا تدعو إلا للإنتاج.. والدنيا كلها تقول ازرع لبلدك.. »
- « ومن أحلام الشباب.. تخيل عالم أمريكى يفتخر بأنه فى بلدك بعد عشرين سنة من الآن.. تخيل خبر فى جريدة روسية -على سبيل المثال- عن أن ألف عالم روسى يحتفلون بقبولهم فى مركز أبحاث الطاقة الشمسية بمصر.. تخيل عودة بغداد عاصمة البحث العلمى فى العالم كما كانت.. ».
- « تخيلوا أننا استطعنا إنقاذ أفريقيا من الجوع والعطش ببحوثنا العلمية.. تخيلوا أن كل محافظة بها مركز بحث علمى يمد المحافظة باحتياجاتها فى كل المجالات.. تخيل مئات العلماء الذين يعيشون بالخارج مثل الدكتور أحمد زويل والدكتور فاروق الباز وغيرهم يعودون لبلادهم أو يساهمون فى مراكز البحث العلمى ببلادنا.. ».

د- منظومة القيم: وإذا كان التغير فى المستقبل، يأتى من خلال قناعات فكرية، وتطوير أحلام؛ فإن هذا يحتاج إلى منظومة من القيم التى يجب أن يتحلَّى بها المسلم، وإذا كان الحديث عن المستقبل يضع متلقى الخطاب فى حالة الحلم الوردى الجميل؛ فإن الحديث عن القيم يخلق لديه عالمًا مثاليًّا يتعالى على عالمه الواقعى الذى يمتلئ بالمشكلات ويجد فيه المأوى. ويحلِّق الخطاب هنا فى عالم مثالى يصنع لدى المتلقى صورًا مختلفة من البهجة، وخاصة أنه يُقدم عبر أسلوب جذاب، وعبر سرد قصصى فى بعض الأحيان. فالحديث عن القيم يأتى دائمًا مقرونًا بالإشارة إلى سلوكيات واقعية غير مرغوب فيها، وغالبًا ما يدعم بالإشارة إلى مقارنات بعصور سابقة، أو بما يحدث فى الغرب. ويكشف الخطاب عن اهتمام بمنظومة كبيرة من القيم؛ إذ يركز حلقات خاصة عن حسن الخلق، وقيمة الوقت، والإحسان، والجدية، والإيجابية، والفخر بالشهادة، وتحديد الهدف فى الحياة، والإتقان، والإرادة، والمحافظة على مواردنا، ونقدم فيما يلى أمثلة على تصوير الخطاب لبعض القيم، محاولين التركيز على الأساليب المختلفة فى الطريقة التى تعرض بها القيم:

- « لكى نكرس هذا المعنى يجب أن نقول إن السلبية هى أخطر آفة.. بينما الإيجابية هى أهم وأخطر وسيلة لنهضة الأمة.. ولو تواجدت الإيجابية.. على الفور تحدث نهضة للأمة ».

- « فهذا الشاب المتدين -المصلى الصائم- لو أساء إلى جيرانه وأزعج من حوله بصوت كاسيت سيارته.. أو باصطحابه مجموعة من البنات، كل هذا مثال سيئ للمسلم، والفتاة المحجبة ذات الملابس الضيقة والضحك بصوت عال والخوض فى سير الناس مثال أسوأ ».

- « من أهم وسائل الثبات: عدم الإعجاب بالنفس، فالإعجاب بالنفس آفة من تديَّن وسار على الطريق، فينسى أن المنعم بذلك هو الله، وإن لم يتفوه بها ويداخله شعور كما داخل قارون: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [سورة القصص: آية ٧٨]. ومن هنا يبدأ انحداره وفقده للثبات.. كل هذه الأمور، أمور إيمانية.. فكيف يثبت الآخرون؟!... غير المسلمين: غاندى.. نيلسون مانديلا،

وغيرهم.. هناك صفات تجمع كل الناس وتساعدهم على الثبات: **أولها-** أن تكون صاحب قضية، هى كل حياتك، ولا ترضى بغيرها بديلاً مهما كانت البدائل تبدو أحلى..

ثانيها- احترام الذات.. «ولكن يجب أن نفهم أن الثبات ليس معناه الجمود ولكن هناك مرونة، وهناك توازنات يجب أن تراعى.. ولكن الحقائق الواضحة لا تحتمل الجدال.. نثبت عليها.. مثلاً قضية الرشوة مهما قدموا لك من مبررات أو اجتمعت المصلحة كلها عليك، هذه قصة منتهية. هل تذكرون الفتاة الأمريكية التى ثبتت فى وجه الجرافة الإسرائيلية.. إنها ليست مسلمة؛ فلماذا ثبتت؟! لأن هذا موقف حق.. إبادة وهدم المنازل ظلم واستبداد.. لم ترض عن اغتصاب الحق.. فماتت وأصبحت حجة على المسلمين الذين لا يثبتوا..»

- «إن الأمة التى لا تشعر بأهمية الوقت لا تستطيع أن تنهض على قدميها.. انظروا إلى شعائر الإسلام.. كلها مرتبطة بوقت.. الصلوات الخمس.. تتحدد مواقيتها بالوقت.. رمضان فترة من الزمن.. يحددها وقت ميلاد الهلال فى أوله وآخره.. الحج عرفة والوقوف بعرفات.. له وقت معلوم.. وكل الشعائر الأخرى حتى زكاة المال.. يجب أن يحول عليها الحول.. أى العام».
- «الإتقان سُنَّة حياة المسلمين، قال رسول الله (ﷺ):«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً، أن يتقنه» الغرب أخذ هذا الشعار مبدأ، ولذلك سادوا وتقدموا؛ لأن القيادة مرتبطة بالقوانين.. فهيا بنا نتخلق بالإحسان، نتخلق بالإتقان».
- «إن حالنا ينقصه الكثير والكثير.. الجدية أصبحت صفة مفتقدة.. لقد ساهم الكبار فى ضياعها».
- «إن أحد العناصر الأساسية لقيام الأمم.. الأخلاق.. لقد ورد فى القرآن الكريم صفات عباد الرحمن، ولو نظرنا إليهم؛ لوجدنا أن الجزء الأكبر هو أخلاقهم: يمشون على الأرض هونًا؛ فليسوا متكبرين، ولا يجادلون السفهاء، ويبتعدون عن مواضع العراك والمشاكل، ولهم عباداتهم التى تعينهم على شهادة الحق والبعد عن اللغو وهكذا».

ومن الواضح: أن قيمًا تتخلل الحديث؛ ولكنه مع كل مرة يختلف مسار الخطاب. فمرة تُقدم القيمة: فى شكل نصيحة، ومرة أخرى: فى شكل تعديل لما هو واقعى، ومرة

ثالثة: فى شكل مقارنة، ورابعة: فى شكل حفز واستنفار؛ ولذلك فإن فهمًا أكثر اكتمالاً لهذا الخطاب، يتم من قراءة بعض آليات إنتاجه.

٥- آليات الخطاب الإسلامى:

بعد أن عرضنا لهذه الصور المختلفة من الخطاب الدينى الإسلامى، يمكن أن ننظر فى استكشاف، أو استشفاف بعض الآليات التى تحكم عملية إنتاج هذا الخطاب. ولاشك أن هذه الآليات تختلف باختلاف الفرضيات التى ينبنى عليها الخطاب، ولكنها حاضرة فى كل الخطابات تقريبًا، وإن كان بصور متفاوتة؛ ولذلك فإننا سوف نشير -ونحن نعرض لهذه الآليات- إلى الخصوصية والعمومية فى هذه الآليات، فرغم أن هذه الآليات عامة؛ إلا أن بعضها أكثر ظهورًا فى خطاب بعينه.

أ- المقارنة بين الواقع والمثال: يتأسس الخطاب الدينى على افتراضيات إسلامية خالصة، وهو ينطلق من مسلمة أنه يمثل الإسلام الخالص أو المثالى، وأنه يدعو إليه. ويعيد الخطاب إنتاج نفسه من خلال اتجاهه المحافظ الواضح. وتعد المقارنة بين واقع الحال وبين المُثل العليا إحدى الآليات الأساسية التى يعتمد عليها الخطاب فى إنتاج ذاته، كما ينعكس فى المقارنة الدائمة بين أحوال المسلمين ومراجعتها على نصوص القرآن والسُّنة. ويبدو الأمر هنا وكأن الحياة فسدت، وانتشر فيها الضلال والفسوق والعصيان. وتكون إحدى المهام المنوطة بالخطاب الإسلامى: هى إعادة هذه الحياة إلى سيرتها الأولى. ويتحاور الخطاب مع ثلاثة اتجاهات: **الأول** هو الإسلام كما يتصوره الكاتب نقيًّا ومثاليًّا، **والثانى** هو واقع المسلمين الذى يهدف هذا الخطاب إلى تغييره، والذى يصوره على أنه واقع ناقص، به الكثير من المثالب التى تبعده عن صحيح الدين، **والثالث** هو الغرب بفكره وثقافته ومجتمعه الذى يتم تصويره على أنه أحد مصادر التلف الذى أصاب حياة المسلمين. وتُستخدم النصوص الدينية فى الخطاب الذى يتعامل مع هذه المستويات الثلاثة؛ لكى يتم تأكيد فكرة أساسية، هى الفكرة الحاكمة للخطاب ومساره، وهى: أن الالتزام بالإسلام روحًا ونصًّا هو الطريق القويم.

ب- الركون إلى النصوص: رغم أن الاستعانة بالنصوص القرآنية ونصوص الأحاديث النبوية تعد آلية أساسية فى إثبات أهمية الموضوع وصحة الافتراضات التى يقوم عليها؛ إلا أن الاعتماد على النصوص يظهر بشكل أوفر فى الخطاب الصادر عن أفراد لهم أصول أزهرية،

سواء كانوا يمثلون المؤسسة الرسمية، أم كانوا يعملون بشكل مستقل مثل الشيخ القرضاوى، فى حين يقل الاعتماد على النصوص فى الخطاب الثقافى، وفى خطاب الدعاة الجدد. وتضفى النصوص على الخطاب هيئة خاصة، وتمنحه مصداقية. ولا يظهر فى الخطاب أى شكل من أشكال التفسيرات المختلفة للنصوص، أو فهمها بشكل مختلف، فغالبًا ما تقدم النصوص فى ضوء فهمها وتفسيراتها الذاتية المعهودة.

جـ- النقد: يصدق هذا على الخطاب الناقد، خاصة الخطاب الثقافى الفكرى، وخطاب الدعاة الجدد. فالخطاب هنا ينتج من ذات ناقدة، ومن ثم يكون للنقد آليته الأساسية، ومع أن النقد يحاول أن يستقل بالذات عما سواها؛ فإنه يعكس أصداء هذه الذات وشجونها، فيأتى نقدًا ذاتيًّا خالصًا. وفى إطار آلية النقد يكشف الخطاب عن آليات فرعية يمكن أن نشير إلى بعضها كما يلى:

الحث والتحفيز: حيث يحاول أن ينبه الأمة العربية والمسلمين بعامة إلى أهمية الدفاع عن القضايا التى تخصنا -القضية الفلسطينية بخاصة- فتأتى النصوص مدعمة لذلك فيقول:

- « إننى أدعو إلى مراجعة النفس فى سلوكياتنا التى ينبىء بعضها عن تغيب لا يليق مع الحزن والمحنة ».
- « إن ما يجرى على فلسطين ينسحب على العرب أجمعين، باعتبار أن الجميع فى سفينة واحدة..وإن فات ذلك على بعض الغافلين أو المستغفلين ».
- « إن أدعياء العجز ودعاة الانبطاح فى زماننا يروِّجون لإفلاس الأمة كل حين.. ولا يملّون من محاولة إقناعنا؛ بأن الركوع هو خيارنا الوحيد ».

التخويف وتقديم النصائح: وتأتى هذه الآلية بارزة فى الخطاب؛ فهو أحيانا ما يعتمد على تخويف الآخر من العواقب، وأحيانـًا؛ أخرى يظهر كناصح أمين لهذا الآخر، وتظهر هذه الآلية فى نصوصه على النحو التالى:

- « إن التاريخ يعيد نفسه أحيانـًا لكن قليلين هم الذين يقرأونه ويعتبرون »
- « الأخطر من انهيار برجى التجارة العالمى؛ ألا يرى الأمريكيون فى المشهد إلا سحابات الدخان الكثيف ».

المزاوجة بين التفاؤل والتشاؤم: على الرغم من أن الآلية الأساسية هنا هى الرؤية المتشائمة؛ إلا أن هويدى لديه رغبة داخلية للحد منها والسعى الدائم نحو التفاؤل والحث عليه من خلال تقديم المبررات والحجج « لماذا الحذر والتشاؤم؟ »، « خشيت أن يعيد التاريخ نفسه، فتتكرر مآسيه وفواجعه وتظل أفغانستان تخرج من حفرة؛ لكى تقع فى بئر! »

الدهشة المصحوبة أحيانًا بالشماتة: « مازلت غير قادر على تصديق الذى رأته عيناى فى نيويورك وواشنطون..الأمر الذى جعل من الدهشة قاسمًا مشتركًا أعظم.. فالذى جرى ما كان له أن يخطر على قلب بشر.. خسرت فيه الولايات المتحدة الجولة الأولى، وفقدت فيه الهيبة والمكانة، وتهشم وجه الدولة العظمى، والدهشة ليست مقصورة علينا وحدنا ».

السرد والأسلوب القصصى: من خلال قص الحكايات والاستشهاد بأقوال الصحابة والأدعية الدينية، وعرض للخبرات والتجارب وحكايات الأسفار والرحلات.

الحوار: والذى ينقسم إلى حوار مع الذات أحيانًا، وحوار مع الآخر أحيانًا أخرى. ويأتى حوار الذات من خلال مراجعة الأحداث وإعادة النظر فيها « كم من الملاحظات والدروس والعبر التى يستخدمها المرء من الاحتكاك بالمشهد، بعد أن يرى مسرح الأحداث، ويستمع إلى شخوصها ويناقش الرموز والعقول المؤثرة فى مسارها ». « دعك الآن من المسعى الإسرائيلى الخبيث واللحوح لإذكاء تلك الفكرة »؛ كما أنه حوار يقدم رؤية عن الواقع بموازناته وأولوياته، ومحاولة تحرى المصلحة محاولاً أن يقدم نوعًا جديدًا من الفقه لا يعتمد على النصوص المحفوظة وإطلاق الفتاوى؛ ولكنه فقه يمكن تسميته « بفقه الواقع ».

أسلوب الاستفهام: حيث يحمل خطابه دائمًا استفهامًا غرضه الاستنكار أحيانًا والاستدراك أحيانًا أخرى. وإن كان الطابع الاستنكارى هو الطابع الآخذ بشدة فى خطابه؛ فى حين كان الاستدراك متمثلاً فى طرح أسئلة بعد أن تشتهر لها إجابات، وتثار حول صحتها الشكوك، الأمر الذى يحرك الدعوة إلى مراجعتها وتصويبها، ومن قبل هذه التساؤلات ما يلى:

- « هل يؤدى تغير المناهج إلى سد منافذ التطرف والإرهاب؟ »
- « هل تعلن موت السياسة؟ »
- « أبعد كل تلك الدماء التى سالت على أرض فلسطين يكون لنا عيد؟ »

جلد الذات: فتصوير الخطاب لأحوال المسلمين ووصفه لسلوكياتهم يقسو قسوة شديدة عليهم. فهم كالدمى يحركها غيرهم، وهم لا يستطيعون حركة فى الحياة. والخطاب يؤكد دائمًا بأنه « لا يصلح أن تعيش فى هذه الدنيا بدون تصنيف، بدون أن تترك بصمة.. لا يصلح أن تقول نحن نعيش والسلام، والدنيا هى التى تحركنا.. لتحرك أنت الدنيا لا لتتركها تحركك ». فهذا الحكم يتم تعميمه على المسلمين « الذين أعطاهم قرآنهم ودينهم أهدافًا واضحة للقرب من اللّٰه ودخول الجنة، يعيشون هكذا فى الحياة مثلما تحركهم الدنيا ».

د- التمسرح: ويظهر التمسرح على وجه خاص فى خطاب الدعاة الجدد. وقد أكدنا فى تقديمنا لهذه الصورة من الخطاب الدينى أهمية التداخل بين الطريقة التى يقدم بها الخطاب الدينى وثقافة الاستهلاك الجماهيرى؛ ولذلك فمن السهل أن نكتشف آلية التمسرح بسهولة ونحن نقرأ هذا الخطاب، حتى دون أن نسمعه. فهو يستخدم أساليب خطاب مختلفة مباشرة وغير مباشرة، ناصحة أحيانًا، ومخدرة أحيانًا أخرى، وهو فى كل الأحوال ينقل المستمع من النقيض إلى النقيض، وكأنه عمل درامى يلعب بمشاعر المتلقى ويدفعه إلى قناعات معينة. وإذا ما أضفنا إلى ذلك الطريقة التى يتم بها تقديم الخطاب عبر الصورة؛ فإن عملية التمسرح هذه تكتمل عبر التحكم فى نبرات الصوت حماسًا أو انخفاضًا أو ارتفاعًا، وعبر تعبيرات الوجه وحركة الأيدى. فى هذا الظرف يتحول الداعية وهو ينتج خطابه إلى شخص أقرب ما يكون إلى « النجم » الذى يشار إليه بالبنان.

هـ- ثنائيات المقارنة: يميل الخطاب إلى المقارنة بشكل مستمر بين الماضى والحاضر، وبين أحوال الغرب وأحوالنا، وبين الأفراد المستقيمين وأضرابهم المنحرفين، وبين نماذج من رجال الأمس ونسائه ونماذج من رجال الحاضر ونسائه. وتقدم هذه الثنائيات بشكل يعبر عن تناقض واضح، يشعر المتلقى بأن ثمة هوة كبيرة بين قطبى الثنائية؛ مما يعمق لديه الإحساس بوطأة الواقع وحلاوة الحلم بالمستقبل.

و- الانتقائية: لا تقف الأمثلة التى يقدمها الخطاب أو يعتمد عليها عند حد معين، ولكنها تميل إلى الانتقاء من الحاضر (الغرب والدول المتقدمة)، ومن الماضى (نماذج مشرقة ومواقف مشرقة لخلفاء أو قادة جيوش). وتظهر الانتقائية بشكل واضح من التداخل الشديد الذى يظهر فى الخطاب بين الماضى والحاضر، وبين الغرب والشرق، فالنص ينقلك فجأة إلى مثال من الماضى، ثم يعرج بسرعة على مثال من الحاضر، ثم يسخر، فينحصر وينقلب إلى خطاب ناصح.

ز- النصح والإرشاد: مع أن الخطاب يحاول أن يقترب من متلقيه؛ إلا أنه يتحول فى أحيان كثيرة إلى خطاب مفارق يقدم النص من علٍ، ويبالغ فى تجسيد الأمور، وفى تحسين ما يريد تحسينه، وتقبيح ما يريد تقبيحه، وكثيرًا ما يوحى الخطاب للمتلقين أنه يملك زمام الأخبار والمعلومات « سأخبركم خبرًا عجيبًا جدًّا » (هكذا). أو أن يطلب من مستمعيه أن « يتخيلوا ». أو أن يحكى لهم عن مظاهر سلبية فى الحياة، ويقوم بتفسير سبب وجودها بطريقة تدل على معرفة قاطعة، كأن يقول « سأحكى لكم كيف صارت الميوعة وعدم الجدية مسيطرة علينا، وسأركز فى حديثى عن الإعلام.. إلخ ». وغالبًا ما يميز الخطاب نفسه عن سائر الخطابات الدينية الأخرى عندما يؤكد بأنه لا يتحدث عن الحلال والحرام. وهو ينفى عن نفسه هذه الصفة، ولكنه يتحدث عن نهضة الأمة: « أنا أتحدث عن بلاد تنهار.. وأمم تسقط.. ونجد أن الميوعة تزداد بين الشباب.. وصارت القدوة بين الشباب وهو الشخص الذى يصاحب البنات.. ويقص شعره بطريقة كذا.. ويلبس بطريقة كذا.. ونفس الشىء للبنات.. »

ح- الافتتان بالعلم: يتحدث الخطاب -لا سيما خطاب الدعاة الجدد- كثيرًا عن العلم والتكنولوجية، ويقارن بين تقدم الغرب فى العلم والتكنولوجية وتخلف المسلمين فى هذين المجالين. فهو يتحدث عن الفرق بين العلم والتكنولوجية، وعن أهمية التكنولوجية وخطورتها، وعن خطورة استيراد التكنولوجية. وكثيرًا ما يورد فى الخطاب إحصاءات من تقارير عالمية حول معدلات استخدام التكنولوجية ونسبة مستخدمى الإنترنت. ويتحدث عن المكتبات الإلكترونية، وعن دور التكنولوجية فى التعليم، وعن الاستخدام الأمثل للتكنولوجية، ويشعر القارئ لنصوص عمرو خالد وكأن التكنولوجية هى الخلاص البشرى إذا حسن استخدامها. وكيف لا؛ وهى من إبداع العالم الغربى الذى يمثل الصورة المبهرة فى الخطاب! ولكن يبقى السؤال: كيف يتوافق هذا الافتتان بالتكنولوجية مع مبدأ تغيير العالم الذى يعتمد العلم وسيلة للخروج من الأزمة؟

رابعًا: خريطة الخطاب الدينى المسيحى

نحاول فى هذا الجزء من الدراسة أن نلقى بعض الضوء على الخطاب الدينى المسيحى كما يعبر عنه رسميًّا داخل الكنيسة القبطية، وكما يظهر عبر صفحات الجرائد القبطية، أو فى منشورات (كتب) كتبت بغرض دينى، ويتم تداولها على نطاق واسع بين الأقباط. ولقد حاولنا

قدر الإمكان أن نجعل النصوص التى خضعت للتحليل أقرب إلى تمثيل الخطاب الدينى المسيحى بشكل عام، كما راعينا فى اختيار هذه النصوص أن تكون متنوعة، وتعبر عن أجيال مختلفة، وتوجهات مختلفة داخل الكنيسة. وفى ضوء ذلك؛ فقد كان فى مقدمة النصوص - التى خضعت للتحليل- النصوص البابوية، يليها النصوص التى تقدم من خلال الكنيسة لتوعية وتثقيف الشباب المسيحى ويعرض لها الأنبا موسى (أسقف الشباب) فى سلسلة من الكتب التى أعدت خصيصًا لهذا الغرض، بحيث تمثل الحركة الدينية ذات التوحد الدنيوى داخل الكنيسة. ولكى تتضح الصورة أكثر؛ فقد اخترنا نصوصًا من مقالات تكتب بشكل منتظم وعلى صدر الصفحة الأولى من جريدة «وطنى»، وهى الجريدة التى تصدرها كل أسبوع مؤسسة وطنى للطباعة والنشر. والتى تمثل كتابات الأقباط الذين يكتبون من خارج أسوار الكنيسة مع الالتزام بمبادئها، فهم لا يرتدون بالضرورة الزى الكنسى، ولا يعملون فى وظائف دينية؛ ولكن لهم أفكارًا تنشر على الملأ المسيحى القبطى.

١- الخطاب البابوى: يوتوبيا الروح:

اعتمد تحليلنا للخطاب البابوى المسيحى على نصوص يكتبها البابا بشكل منتظم فى مجلة الكرازة المرقسية التى تصدر كل أسبوعين عن الكنيسة الأرثوذكسية، وشكلت هذه النصوص ٥٦ نصًّا، تم اختيارها لتمثل الفترة من عام ٢٠٠٠م حتى عام ٢٠٠٤م.

يعكس الخطاب البابوى ميلاً نحو الروحانية والمثالية، فهو يحلق فى عالم الروحانيات والمثل العليا. ويميل الخطاب إلى عدم التركيز على السلبيات أو الأخطاء، كما لا يميل إلى نقد الذات أو نقد الآخر(*)، وفى مقابل ذلك يميل ميلاً شديدًا إلى التفاؤل بالمستقبل، وإلى فتح آفاق نحو الأمل. يبدو الخطاب -إذن- وكأنه يفتح الطريق إلى عالم المثل، وإلى عالم يمكن أن يتجاوز فيه الإنسان الخطيئة؛ ولذلك فإننا نميل إلى أن نسم هذا الخطاب بأنه خطاب يميل إلى اليوتوبيا، ويتجاوز الواقع، آملاً فى حياة أفضل للبشر. وهذه اليوتوبيا وهى يوتوبيا روحية خالصة، يحقق الإنسان فيها خلاصًا كاملاً(**). وبينما يتخذ الخطاب هذا النهج اليوتوبى؛ فإنه

(*) عدم نقد الآخر فى الخطاب المسيحى: هو تطبيق لبعض التعاليم الواردة فى الكتاب المقدس (المحرر)

(**) يشير مفهوم اليوتوبيا فى الثقافة الغربية إلى «المثالية» التى لا تقبل التحقيق فى عالم الواقع، أما مفهوم «الدين» حسب الثقافة العربية فيشير إلى ما يمكن تحقيقه فى الواقع، ويكون من شأنه ضبط سلوك الإنسان وترشيده؛ ولذلك يصعب وصف الخطاب الدينى بأنه يوتوبيا؛ لأنه صلب هذا الخطاب ويتجه للواقع وقابل للتطبيق (المحرر).

يتعامل مع الواقع بشكل غير مباشر؛ إذ لا يتخذ الخطاب من الواقع موضوعًا للقول إلا فى النذر اليسير، ولكن الواقع يبدو حاضرًا خلف نصوص الخطاب، ولا يظهر ولا يتجلى أمامنا بشكل مباشر، ولكنه قابع خلف النص يوجهه إلى تجاوزه نحو عالم المثل.

من الطبيعى فى ضوء ذلك أن تتقدم قضايا الروح على قضايا المادة، وأن يأتى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية المباشرة اهتمامًا هامشيًّا. ومن هنا فقد جاءت قضايا العقيدة على رأس الموضوعات بنسبة ٣٥,٧ ٪ تقريبًا، وجاء الحديث عن القيم فى المرتبة الثانية بنسبة ٣٢,١٪، وجاء موضوع طقوس العبادة فى المرتبة الثالثة بنسبة ١٧,٨٪، وجاءت معالجة الموضوعات الاجتماعية الواقعية فى ذيل القائمة بنسبة ١٤,٣٪. ويبدو أن هذا الترتيب يتسق مع فكرة السعى نحو عالم المثل، وكأن لسان حال الخطاب يقول للمتلقى: تسلح بالعقيدة والقيم، وأد الطقوس على خير وجه، تتغلب على كل مصاعب الحياة.

وإذ يسير الخطاب على هذا النحو؛ فإنه يحاول أن يحيد السياسة، ربما إعمالاً للمبدأ المسيحى « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله »، فليست هناك رغبة ظاهرة فى إضفاء الطابع السياسى على الخطاب، أو فى فتح أفق للتحاور حول قضايا عامة تخص المجتمع، أو تُطرح على الساحة الدولية والمحلية. يحاول الخطاب فى سعيه نحو عالم المثل، وفى حواره غير المباشر مع واقع الحياة، أن يكون خطابًا محايدًا لا يزج بنفسه فى أمور السياسة، ولا يغامر بمناقشة قضايا عامة. فجلّ اهتمامه هو الفرد الذى يحاول الخطاب أن يأخذه نحو الكمال دون أن يوجه له لومًا أو اتهامًا. ولذلك فقد غلبت على الخطاب الموضوعات العقائدية والطقوسية، وإن ظهرت معالجة لقضايا أخرى؛ فإنها تكون قضايا ذات طابع اجتماعى، أو تتصل بحياة الأفراد وطريقتهم فى العمل، وهى غالبًا ما تظهر بين ثنايا النصوص، وإن هى ظهرت على نحو مباشر؛ فإنها لا تمثل مساحة واسعة داخل الخطاب. ونلقى فيما يلى نظرة سريعة على الموضوعات التى يتم تناولها فى الخطاب البابوى:

أ- تحتل الموضوعات العقائدية مكان الصدارة فى الخطاب، ويناقش البابا هنا موضوعات متفرقة مثل موضوع القيامة لدى الأحياء والموتى، وطبيعة الإيمان، والتجسد والميلاد، وحكمة السيد المسيح، واستحقاق الملكوت، والخلاص، والحياة الروحية، والمعمودية. وعندما يتناول خطاب البابا هذه الموضوعات؛ فإنه يبدأ دائمًا بالتأكيد على تحديد المعنى

المقصود وشرحه. فعندما يشرح موضوع القيامة؛ فإنه يوضح أن معجزات القيامة التى تتم لبعض البشر تختلف عن معجزات القيامة عند المسيح.. وعندما يتناول قضية الإيمان فى نِعم الله؛ فإنه يعدد هذه النعم. ويحرص الخطاب على أن يوضح: أن لله حكمة فى خلق الأشياء، ويبدو الكون هنا وكأنه كون مرتب يعمل الإنسان فيه طالبًا من الله الفرج والرضا « فالله قادر على كل شىء.. وعلينا أن نطلب الحل من الله. فنعمل ونطلب من الله أن يعمل معنا ». ويتطلب ذلك حركة دائمة فى العقيدة « فالحياة الروحية مطلوب فيها الحركة وعدم التوقف، وأن التوبة هى حركة داخل القلب لتجديد الحياة، والحركة للصلح مع الله، والنمو الروحى هو لون إيجابى من الحركة ». ويبدو العالم مرتبًا ومنظمًا على نحو آخر؛ إذ يكشف الخطاب: أن العالم به أنواع من البشر، بعضهم قريب من الله، وبعضهم بعيد عن الله، وأن التوبة مفتوحة دائمًا أمام أولئك البعيدين عن الله، فعند حديثه عن القيامة يورد قول الشاعر:

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وهو بيت يصنف البشر إلى صنفين: ذوى المكارم العالية الذين لا يموتون، وآخرين يعيشون كالأموات. ثم يستطرد النص فيصنف هؤلاء الأحياء الأموات إلى ثلاثة أصناف: الخطاة الذين انفصلوا عن الله؛ والخاملين النائمين الذين بلا حركة وبلا إنتاج، والأمم القديمة الوثنية التى أعطاها الرب حياة جديدة بلا إيمان. ولاشك أن الصنف الأول القريب من الرب العامل على حركة الحياة هو الأكثر تميزًا، فى مقابل الخطاة والخاملين والوثنيين؛ ولذلك فإن هذا الصنف المميز من البشر هو الأقرب إلى الله، وهو الذى يستحق « ملكوت الرب » أى أنه هو القادر على أن يقدم الخدمة، وأن يكون من أبناء الله. ويظهر هذا فى حديث البابا عن استحقاق الملكوت، فهو يعتبر أن التوبة شرط للاستحقاق، ثم يقول « ما مدى استحقاقنا للرب؟ واستحقاقنا أن نكون له تلاميذ؟ لا تقل إذن ما دمت قد آمنت واعتمدت فقد انتهى الأمر، كلا: هناك شرط الثمر أيضًا » ويضيف « إن الله -من تواضعه- سمح لنا أن نصلى، ولكن هل نحن مستحقون أن نقف أمام الله ونخاطبه؟ لا بالطبع. ثمة بشر مميزون -هم فى الغالب رجال الدين- هم الأقدر على مخاطبة الرب، وهم الأقرب إلى العالم الروحى ».

ب- ويميل خطاب البابا إلى ترسيخ نوعية خاصة من القيم فى نفوس متلقيه. ويضع الخطاب القيم السلبية فى مقابل القيم الإيجابية، -وإن كان الخطاب يتسع للقيم الإيجابية

أكثر من اتساعه للقيم السلبية- ولقد ظهر فى النصوص البابوية التى تم تحليلها موضوعات تعكس اهتمام البابا بالقيم السلبية ونقدها وحث المتلقين على الإقلاع عنها، وهو يذكرها باختصار ولا يفرد لها سطورًا وصفحات كثيرة، بل يعالجها باقتضاب فى سياق الكلام.

- الكذب وهو من أخطاء اللسان فيقول: « الكذب من أخطاء اللسان وهو على درجات وأنواع، منه المبالغة، وأنصاف الحقائق، وعدم الدقة فى الكلام، والأحكام غير العادلة Not Fair، وشهادة الزور، وتلفيق التهم على الأبرياء، وطرق اللف والدوران، والخداع والتضليل، والغش والاحتيال، والتملق والنفاق، والرياء ».
- الكلام بكبرياء وتشامخ وتعالٍ « كمن يتكلم وكأن الحديث يصدر من فوق ».
- علو وحدة الصوت والصياح.
- السلوكيات شبه الشريرة، والتى يدخل فيها كثرة الإلحاح، والتزيد فى الكلام، والزيارة على غير موعد، والتشدد فى ثمن البيع أو الشراء، والتأخير فى المواعيد، وتضييع الوقت.
- شهوة الاستزادة أو الطمع.

هذه نماذج من السلوكيات السلبية التى يشير إليها الخطاب البابوى، وفى مقابل الترغيب فى ترك هذه السلوكيات، تحاول النصوص أن تؤكد على القيم الإيجابية التى تشكل منظومة المؤمن المسيحى. ولذلك فقد غطت عظاته التى تم تحليلها عددًا كبيرًا من القيم الإيجابية تم استخلاصها من النصوص على النحو التالى:

- **التصالح**: « لا تنتظر حتى يأتى ليعاتبك ويقود العتاب إلى الصلح، بل اذهب وقم بالمبادرة، وخذ بركة المصالحة ».. « إذا قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، اترك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك » (مت٥: ٢٣، ٢٤). « لذلك احرص على أصدقائك، فلا تخاصم، وإن خاصمت فلا تطل خصامك، بل كن مسرعًا إلى الصلح وحفظ وحدانية الروح » (أف٤).
- **العطاء**: هذا العطاء الذى يشبه بالثمار، فالمؤمن كالشجرة المثمرة.. وكل إنسان يريد أن يتقرب من الرب لابد أن يثمر ثمارًا جيدة ويقدمها إلى الآخرين ».. « مغبوط هو العطاء

أكثر من الأخذ » (أع٢٠: ٣٥).. « فهو فى كل تعامله معطاء، يعطى الذى يطلب والذى لا يطلب، هو كريم فى عطائه، يعطى بلا حدود، وفى فرح وبكل قلبه... ». وأكد فى موضوع آخر على « مبدأ أهمية العطاء من الأعوان»، « فالرب يعلمنا أن أعظم عطاء هو العطاء من الأعوان»، « فالذى يعطى من أعوازه (من احتياجاته) يدل على أن عطاءه فيه الكثير من الحب والبذل، ومن تفضيل غيره على نفسه.. بعكس الذى يعطى مما فاض عنه من سعة، دون أن يشعر باحتياج ».. « إن العطاء لا يكون له العمق مثل من يعطى وهو محتاج إلى ما يعطيه ».

- **العمل**: اهتم خطاب البابا بالعمل وأهميته ولزومه مؤكدًا على أن اللّٰه يعمل، وملائكته تعمل وكذلك الضيعة والبشر. فيقول: « اللّٰه دائم العمل ونحن -صورة اللّٰه- ينبغى أن نكون مثله فى عمل مستمر». ويقول أيضًا « فالإنسان إذا لم يعمل، يمكن للشيطان أن يعمل فيه، كما يقول المثل عقل الكسلان معمل للشيطان ».. « إن الذى لا يعمل، يصاب بالخمول، وتدركه الشيخوخة المبكرة، فلابد له أن يعمل، لكى ينشط ». والعمل الذى يشير إليه البابا فى هذا الخطاب ليس فقط العمل والحركة، بل يقصد العمل لأجل اللّٰه، ولأجل نفسه والمجتمع الذى يعيش فيه، فيقول: « عليك أن تعمل عمل الرب، تعمل الخير: بالنية وبالإرادة، بحيث يكون الهدف من عملك خيرًا، وكذلك النتيجة بقدر الإمكان »، « فالعمل لازم فى كل شىء ». ويقول: « من يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فتلك خطية له » (يع٤: ١٧).

- **تحمل المسئولية ومحاسبة النفس**: أكد البابا أيضًا على ضرورة تحمل المسئولية ومحاسبة الفرد لنفسه على تقصيره فيقول: « كل إنسان عليه مسئولية تجاه نفسه، أنت مسئول عن تثقيف نفسك وتدريبها روحيًّا، وعن ضبط نفسك أمام الشهوات، وأنت مسئول عن تنفيذ وصايا اللّٰه وفعل مشيئته.. ثم هناك مسئولية تجاه الأسرة.. ومسئولية تجاه الكنيسة.. ومسئولية تجاه وطنك وتجاه المجتمع الذى تعيش فيه، منها: أن تقيد نفسك فى سجل الانتخابات وتكون لك بطاقة انتخاب تستخدمها وتدلى بصوتك، وتختار أفضل العناصر الصالحة لخدمة بلدك؛ لأنك إن لم تفعل ذلك ستعطى فرصة لغير الصالحين أن يتم انتخابهم ». ومع الاهتمام بقيمة تحمل المسئولية يؤكد الخطاب على

أن هذه المسئولية تفرض علينا محاسبة النفس فيقول: « إن البعض يحاولون أن يهربوا من محاسبتهم لأنفسهم؛ إلا أنه من الخير لنا أن نحاسب أنفسنا وندين أنفسنا، ولا نسمح خلال ذلك بأية اعتذارات أو تبريرات تقلل من المسئولية أو تلغيها.. إن جهاز الإدانة الذى سمح الله بوجوده فينا وظيفته هى أن ندين به أنفسنا، لا أن ندين به الآخرين، كما أنه سمح أن توجد بين غرائزنا غريزة الغضب، لنغضب بها على أخطائنا، وعلى الخطية عمومًا، لا أن نغضب بها على الآخرين.. محاسبة النفس ومعرفة خطاياها ونقائصها، تسبب الانسحاق، وفى انسحاق النفس يوجد التواضع والدموع والتوبة ».

- **الوفاء بالعهد**: ويخاطبنا البابا عن قيمة العهد والوفاء به فيقول: « كما تكون الرحمة لحافظى عهده، تكون العقوبة واللعنة لمن ينكث عهده فيقول الرب « تقطع تلك النفس من شعبها، إنه نكث عهدى ».. وكلمة عهد تعنى نوعًا من الاتفاق الوثيق، وقد تأتى بمعنى ميثاق، وقد تأخذ مظهر قسم أو نذر».

- **التفاؤل**: ويؤكد خطابه على أهمية أن يكون البشر متفائلين، فجاء النص ليظهر هذه القيمة ويؤكدها فيقول: « الليل المظلم -مهما بلغ ظلامه- سيأتى بعده الفجر المنير، بل يقول المثل: « إن الفجر يأتى بعد أشد ساعات الليل ظلمة ».. « إن نظرة الخوف والشك تجلب اليأس.. أما نظرة التفاؤل والإيمان فتأكد أن الله سيعمل عملاً، ولو فى الساعة الرابعة والعشرين »، كما يقول: « الإنسان الذى يحيا فى فرح الرجاء، لا يتعب أبدًا، بل يشعر أن برد الشتاء يعقبه دفء الربيع.. إذن نتأمل فى النقط البيضاء فى كل ما حولنا.. فبالنظرة المتفائلة -أى بالرجاء- نتأكد أن الله سيتدخل ».

- **التكامل فى حياة الفضيلة**: يقول: « أريد أن أتكلم عن خطورة الحياة بالفضيلة الواحدة منفصلة عن باقى الفضائل، أو خطورة أية فضيلة منفصلة عن الحكمة والإفراز، فالتواضع مثلاً - بغير حكمة - قد يوصل صاحبه إلى أن يستهتر الناس به، ويصبح هزءًا بينهم، بل ويشجعهم أن يخطئوا إليه، وكذلك الوداعة بغير إفراز، إذن ينبغى أن يمتزج التواضع بالحكمة، وتمتزج الوداعة بالحكمة ». ويشير إلى أهمية « أن نسلك فى الفضائل بحيث لا تتناقض إحداهما مع الأخرى، بل تكملها، وبحيث لا تمارس فضيلة على حساب فضيلة أخرى تُنقصنا ».

جـ- ويهتم الخطاب البابوى القبطى بطقوس العبادة حيث يحاول أن يوضح طبيعة هذه الطقوس ووظائفها. ومن الطقوس التى ظهرت عبر قراءة خطاب البابا شروط الطلب من الله، والصلاة وطلب العون من الله أثناء الصلاة، حيث يدرك المصلى أن العون لا يأتى إلا من عند الله، وقوة الخدمة كما مارسها أنبياء الله والتى تكشف عن قوة الإيمان، وكيف يتم صيد الناس وربح نفوسهم من خلال الحكمة والصبر والموعظة، والصلاة وأهميتها، وأهمية ووسائل الوقوف بين يدى الله، وأهمية التجارب والخبرات الروحية، وكيف نتودد إلى الله لكى يحفظنا... إلخ.

ولم يكتف الخطاب بتوضيح أهمية هذه الطقوس أو العبادات، بل حاول أيضًا أن يكشف عن جوانب فى وظائفها وشروط أدائها الحسن؛ فالصلاة تقرب بين الشخص والرب: « فحينما تطلب من الله ويعطيك، تزداد صلتك به، ويقوى إيمانك بالله وبفاعلية الصلاة وفائدتها، وتفرح بما تأخذه من يد الله المحب. -وللطلب شروط- فقد لا تستجاب الصلاة؛ لأنها ضد مشيئة الله، أو لأنها لأجل ذات عالمية خاطئة، الأمر إذن يحتاج إلى حكمة فى الطلب ».

ويستطرد الخطاب فى هذه الحالة خاصة لينتقل من مجال العبادات إلى الحياة الدنيا، حيث ينصح الناس بالحكمة فى الطلب، فلا يطلبوا الأشياء فى ضوء المبدأ القائل « أسرع ولا تبطىء ».

ويتجه الخطاب البابوى المتصل بالطقوس والعبادات لا إلى جمهور المتلقين فقط، بل يتجه بقوة إلى القائمين على الخدمة، حيث يقول فى أحد نصوصه « ليتكم يا إخوتى الكهنة والخدام تجعلون هذه الآية بالذات مقياسًا لنجاح خدمتكم وقوتها »، ويقول فى نص آخر « إن الرب يعرف عينات النفوس الصالحة لصيد الناس، حتى ولو كانت مشغولة بصيد السمك أو بمكان الجباية.. يعرفهم ويدعوهم »، وينسج الخطاب هنا حول فكرة قوة وفاعلية الخدمة، « فالخادم الحقيقى هو خادم قوى فى خدمته.. إنه قوى؛ لأنه صورة الله، والله قوى ». وهنا يتأكد مرة أخرى هذا الانقسام بين أولئك المقربين إلى الله، وأولئك الذين يجب أن يوجهوا نحو الله. وهذا موضوع أساسى من الموضوعات التى يتمحور حولها الفكر المسيحى بشكل عام.

د- ويأتى الحديث عن المشكلات والقضايا الاجتماعية فى الخطاب البابوى على نحو غير مباشر أحيانًا، وعلى نحو مباشر فى أحيان أخرى. فالخطاب الروحى الخالص يتناول موضوعات اجتماعية على نحو غير مباشر، فعند الحديث عن قيمة المسئولية تتحدث النصوص

openkan.com

عن مسئولية الأفراد نحو الأسرة والوطن والسياسة الداخلية، وعند حديثه عن العبادات وقوة الخدمة يتطرق إلى ضرورة أن تكون قوة الخدمة فى خدمة الرب والكنيسة. كما أن الخطاب يؤكد بشكل دائم على أن شار المؤمن تظهر فى تفاعلاته مع الآخرين التى يجب أن تقوم على التسامح والتصالح والصدق. ومع ظهور هذا الميل نحو تناول الأمور المتعلقة بحياة الناس بشكل غير مباشر عبر الخطاب الروحى الخالص، إلا أن النصوص تكشف عن ميل أقل نحو تناول الموضوعات الاجتماعية، مثل مسئولية الأسرة عن تربية الأبناء وتعليمهم « .. فالأبوان يتسلمان الطفل من المعمودية نقيًّا وطاهرًا، وعليهما أن يقوما بعمل الأشبين. فالأم هى مدرسة الدين الأولى بالنسبة إلى طفلها ». ومن الموضوعات التى تطرقت إليها النصوص موضوع المشاركة السياسية فنحن « مسئولون أمام الوطن وأمام الكنيسة وأمام ضمائرنا عن السلبية السياسية، وعما تجره هذه السياسة من أخطار عامة وخاصة »، بل إن الخطاب تطرق إلى قضايا اقتصادية، مثل خسائر البنوك والشركات التى أرجعها إلى عدم الشعور بالمسئولية والأمانة.

وينتقل الخطاب فى تعامله مع المشكلات والقضايا الاجتماعية من العام إلى الخاص، ومن الدينى إلى الدنيوى، ومن الاجتماعى إلى النفسى. واحتل موضوع القلق مكانًا بين اهتمامات البابا، فيحدثنا عن أن أسباب القلق قد ترجع إلى وجود مشكلة ليس لها حل، أو معاشرة القلقين، أو طول المدة وعدم جدوى الانتظار، أو التشاؤم، أو الخوف، أو بسبب الإنجاب، أو ما يعانيه الطلبة أثناء الامتحانات، أو التفكير فى المستقبل، أو المرض وتوقع الموت... إلخ. ويحذر البابا من عاقبة القلق « فهو يؤدى إلى الحزن والاكتئاب، وأيضًا التردد فى أى عمل يعمله؛ إذ ليست له الثقة فيما يعمل، وهكذا لا يستطيع أن يتحمل أية مسئولية تعهد إليه خوفًا من الفشل ». ويتركز علاج القلق فى « الإيمان.. معاشرة الأقوياء.. ويزول القلق بوعود الله، والاتكال عليه، وبتقوية الشخصية وعدم الخوف والصبر وإعطاء فرصة لكى يتدخل الله ويحل الأمور».

ثم يرجع النص مرة أخرى إلى قضية اجتماعية أخرى وهى « علاقة الفرد بنفسه »، فيقول « لك نفس واحدة، إن ربحتها ربحت كل شىء، وإن خسرتها خسرت كل شىء ». ويعرض الخطاب لكيفية اهتمام الفرد بنفسه والذى يتم عن طريق « محاسبة النفس، والاختلاء بالنفس، ولوم النفس، ونصح النفس، وتشجيع النفس، وضبط النفس، وتثقيف النفس

وتنميتها، والانطلاق من الذات ». وهنا نجد الخطاب يعكس خصائص خطاب البابا الروحية الذى يحاول تقوية الذات ومعرفتها حق المعرفة؛ لأن هذا هو الطريق إلى معرفة الله « من واجبك أن تحرص على أن تنمو بنفسك فى كل شىء، تنمو مثلاً فى المعرفة، فى معرفة الله، ومعرفة مشيئته ووصاياه، ومعرفة الطريق الروحى ومسالكه ودروبه، إلى أن تصل إلى ملء القامة التى أرادها لها الله، فالنمو الروحى عنصر هام فى حياتك.. فلا تقف عند حد فى روحياتك.. أعط نفسك الفرصة أن تنمو وتتقدم سواء فى الصلاة، أو الخدمة، أو محبة الله، أو محبة الناس ».

ولم يكتف البابا بتقديم النصائح والوصايا المرتبطة بمشكلات اجتماعية قد تحدث فى حياة الفرد، بل حاول أن يمتد من هذا التصور إلى الواقع محاولاً تلمس الطرق التى يحل بها الأفراد المشكلات الاجتماعية التى قد يتعرضون لها، فيعرض للقراء « أمثلة من شباب ناجح » على اعتبار أن « للشباب مكانة؛ لأنه زهرة العمر، وفترة القوة والنشاط، حتى إن كبير السن الذى يعيد له الله قوته يقال له فى المزمور « إن الله يشبع عمرك: فيتجدد مثل النسر شبابك ». وفى هذا الإطار تقدم نصوص البابا أمثلة للشباب الناجح من حياة الأنبياء والقديسين مثل يوسف، وداود، وسليمان الحكيم، ويوحنا المعمدان، ومارمرقس، ويوحنا وغيرهم.

٢- الخطاب الكنسى الموجه:

تمت قراءة خمسة نصوص للأنبا موسى أسقف الشباب فى الكنيسة القبطية، من خلال الاطلاع عليها فى خمسة كتب.. منها ثلاثة قام هو بتأليفها منفردًا، واشترك مع آخرين فى كتابة الرابع، وكتب مقدمة الخامس. ويتناول الكتاب الأول موضوع الاغتراب والانتماء[١٧]. كما يتناول الثانى قضايا تنظيم الأسرة وأطفال الأنابيب والاستنساخ[١٨]. ويعرض الثالث مشكلات العولمة أو ما أطلق عليها تحديات القرن الجديد[١٩]، ويتناول الكتاب الرابع قضية حوار الحضارات[٢٠]، والخامس موضوع الأنا والآخر[٢١].

إذا كان الخطاب البابوى قد اتخذ الطابع الروحى الخالص أو ما أطلقنا عليه يوتوبيا الروح؛ فإن نصوص الأنبا موسى تتحاور مع قضايا العالم المعاصر بشكل مباشر، فالنصوص تعالج قضايا ذات طابع عام، وتمس من قريب أو بعيد قطاع الشباب بشكل خاص. وعندما تصافح العين عناوين الكتب؛ فإنها تخالط عناوين لكتب علمانية لا تحمل مضمونًا دينيًّا، فهى

تتناول مشكلات اجتماعية وثقافية؛ ولكن ما إن يقلب المرء صفحات الكتب حتى يكتشف أن ثمة مسحة دينية تغلب على صفحاتها ففيها روح الإنجيل، وأقوال الآباء، ورؤية الدين المسيحى لهذه القضايا. وتبدو النصوص وكأنها تحرص على مواكبة المستجدات، ومواكبة كل ما يطرأ على الساحة الثقافية والعالمية. ويأخذ المرء الانطباع بأن المهمة الملقاة على عاتق هذه النصوص هى متابعة مستجدات العصر، وأن تنوه إلى انعكاسات هذه المستجدات على المجتمع خاصة الشباب، فهى محاولة تقدم نهجًا دينيًّا يمكن أن يساهم فى التعامل مع هذه المستجدات أو يتكيف معها.

والمتأمل لموضوعات الكتب وتواريخ ظهورها يلاحظ عددًا من الملاحظات:

الملاحظة الأولى: أن ثمة انتقالاً عبر الزمن من عالم الاجتماع إلى عالم السياسة، فقد كان الاهتمام ينصب فى التسعينيات على موضوعات كالاغتراب والانتماء، وفى آخر التسعينيات ظهرت موضوعات الاستنساخ وتنظيم الأسرة، ومع مطلع عام ٢٠٠٠م ظهرت النصوص حول تحديات العولمة، ثم تبع ذلك حوار الحضارات والأنا والآخر.

الملاحظة الثانية: أن هذا التتابع الزمنى يدل على أن النصوص تتفاعل مع المحيط العالمى وليس المحيط المحلى فحسب، بل يمكن القول أن ثمة انتقالاً من المحيط المحلى فى تناول القضايا إلى المحيط العالمى.

الملاحظة الثالثة: ظهور مفهوم الآخر فى النصوص، والبحث عن تفسيرات دينية لهذا المفهوم.

الملاحظة الرابعة: تكشف النصوص عن تداخل بين الدينى والدنيوى، فكل القضايا التى يناقشها الخطاب هى قضايا دنيوية، أو تحديات تواجه الإنسان المعاصر، وتحاول النصوص أن تقدم حلولاً دينية لهذه التحديات.

وفى ضوء هذه الملاحظات نحاول فيما يلى أن نقترب من النصوص، وأن نتعرف على الطريقة التى تقدم بها من خلال الموضوعات التالية.

أ- الاغتراب والانتماء: انشغلت النصوص بقضية اغتراب الشباب ودرجة انتمائه، حيث قدمت النصوص تعريفًا للاغتراب يرفعه إلى مرتبة الاغتراب عن الله، والذى تتسلل منه صور

من الاغتراب قد تصل إلى الاغتراب عن النفس. ويشن النص - فى حديثه عن المستوى الأول من الاغتراب - هجومًا على التيارات الوجودية والماركسية أو ما يسميه الإلحاد المعاصر الذى يربط بينه وبين الإلحاد القديم. فالملحدون القدماء يقولون لله - ما ورد فى العهد القديم - « يا الله أبعد عنا، وبمعرفة طرقك لا نَسر»، ويقول الفيلسوف الملحد المعاصر « يا أبانا الذى فى السموات إبق فيها ». ويؤدى الاغتراب عن الله إلى الاغتراب عن النفس الذى ينتج من جوع الإنسان اللانهائى إلى المطلق، ومن اغتراب النفس إلى اغتراب المجتمع الذى ينسى فيه الإنسان واجباته الاجتماعية. ويحاول النص هنا أن ينفى عن المسيحية أنها ديانة أخروية، ويفسر الأسباب التى روجت لهذه الفكرة، والتى شارك فيها بعض رجال الدين أنفسهم فى بلاد مثل روسيا وإثيوبيا -حيث عاش رجال الدين فى بذخ بعيدًا عن الفقراء والمطحونين- فقد كانت « الكنيسة ورجال الدين غائبين عن ساحة الخدمة الاجتماعية والإحساس بالفقير والجائع والمطحون ». وإذا كان الاغتراب يبدأ من السماء (الله) وينزل إلى النفس والمجتمع؛ فإن الانتماء يبدأ من المجتمع الصغير والأسرة، ويتدرج إلى أعلى لكى يصل إلى الانتماء الطائفى، ثم الدينى، ثم الوطنى، وأخيرًا الانتماء إلى البشرية جمعاء، ويركز النص على فكرة الانتماء الوطنى والوحدة الوطنية حيث يؤكد « الانتماء للوطن يعطى إحساس الحب له، ولكل مؤسساته ورجالاته، وطموحاته، ويشعرنى بمسئوليتى نحو همومه وآلامه، ويفتح قلبى على إخوتى فى الوطن مسلمين ومسيحيين دون تفرقة دينية، دون تقوقع مريض، ودون نفسية أقليات مريضة.. بل بالعكس، فالإنسان المسيحى مطالب بأن ينشر الحب والخير فى كل مكان وزمان، ومع كل إنسان، بغض النظر عن فارق الدين والعرق ».

(الشباب بين الاغتراب والانتماء، ١٩٩٤م، ص٤٨)

ب- قضايا معاصرة: تحاول النصوص أن تقدم الرأى فى القضايا التى تطرح من خلال التطورات الحديثة فى العلم مثل: قضية تنظيم الأسرة، والاستنساخ، وأطفال الأنابيب؛ حيث يؤكد أن تنظيم الأسرة ليس تدخلاً فى مشيئة الله « حينما نمنع تكوين الجنين لضرورات عامة أو خاصة »، وأننا « لا نرفض عطية الله حينما ننظم الأسرة؛ لأن العقل لا يتعارض مع الإيمان ». وينسحب نفس القول على أطفال الأنابيب، ولكن قبولها دينيًّا يتم بشروط خوفًا من وقوع انحرافات، ومن أهم شروط قبولها أن يكون الزواج قائمًا، وألا يحدث أى قتل للأجنة

الاحتياطية. وفى مقابل ذلك؛ فإن استنساخ البشر يعد مرفوضًا؛ لأنه يجلب على البشر مشكلات جمة.

جـ- العولمة وتحدياتها: وتواصل النصوص حديثها عن التحديات التى يفرضها التطور البشرى والعولمة المعاصرة على المجتمعات، ويقدم رأى الدين فيها، ولا يقتصر الحديث هنا على تحديات بعينها، وإنما يناقش حزمة متنوعة من التحديات الثقافية والسياسية والاقتصادية مثل:

- الانفلات الجنسى.
- السعى نحو الثراء السريع.
- التطرف الدينى.
- اتفاقية الجات، وتأثيرها على ضرب المنتجات المحلية.
- إدمان الكمبيوتر.
- الانفجار السكانى.
- اهتزاز القيم.
- سيطرة رأس المال على وسائل الإعلام.
- مشكلة المخدرات.
- الحداثة وما بعد الحداثة.
- البطالة.
- الخصخصة.
- سيطرة رجال الأعمال على السياسة.
- ثقافة الاستهلاك.
- ثقافة الجسد.
- غياب الآخر.

obeikan.com

وتعكس هذه القضايا وعيًا بطبيعة المتغيرات العالمية وانعكاساتها على القضايا المحلية، وتكشف النصوص التالية عن هذا الوعى:

- فعن التطرف الدينى يقول: « حتى الدين - والمفترض أن يكون ترياقًا لكل الأمراض - بدأ البعض يغالى فيه إلى درجة التطرف الفكرى والإيذاء البدنى والإرهاب المخيف. وهذا التطرف الدينى لم يعد قاصرًا على دين واحد، بل نراه فى كل الأديان، بدءًا من الجماعات الإرهابية فى الإسلام، والمسيحية البيضاء بأمريكا، واليهودية المتطرفة (حركة كاخ) -حتى اليابان- ومن أطلقوا السموم فى مترو الأنفاق ».

(الأنبا موسى، تحديات القرن الجديد، ٢٠٠٠، ص٧٦)

- وعن السعى نحو الثراء السريع يقول: « مع اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ومع ثقافة السوق المفتوح، والتجارة العالمية الحرة، واتفاقيات الجات، والخصخصة، وتفشى البطالة حتى فى الغرب المتقدم بسبب الميكنة.. أصبح الشباب يعشق الثراء السريع، ولو على حساب المبادئ، والقيم الدينية والمجتمعية »

(تحديات القرن الجديد، ٢٠٠٠، ص٧٥).

- وعن الانفلات الجنسى يقول: « هو ما نراه الآن فى المجتمعات الغربية؛ حيث تحول الإنسان إلى شىء أو إلى سلعة، وعلاقات الجنسين المقدسة فى سر الزواج، تتحول إلى علاقة منحرفة قبل الزواج وخارج الزواج؛ بل إلى علاقات شاذة اعتمدتها الحكومات، وبدأت تعترف بها بعض كنائس الغرب، ومعروف أن الغرب الآن -بحسب ما وصفته إحدى الدراسات التى قرأتها فى أمريكا- « المجتمع الموجه جنسيًّا »، ويكفى أن ننظر إلى نشرات الأخبار، أو من سقطوا فى بعض الانحرافات والجرائم من الساسة والمشهورين، لندرك هذه الحقيقة الفاجعة ».

(تحديات القرن الجديد، ٢٠٠٠، ص ٧٢-٧٣)

د- نظرة كلية للكون: وتؤكد النصوص على نظرة كلية للكون يتفاعل فيها الفرد مع عوالم مختلفة تتدرج من السموات العلا من اللّه، وتنزل إلى الأسرة، فالكنيسة، فالمجتمع، فالإنسانية جمعاء. والفرد المؤمن -المتوازن فى إيمانه- هو الذى يوزع ولاءه على هذه العوالم على نحو متوازن. وفى هذا الإطار وجد نص الأنبا موسى الطريق إلى مناقشة القضايا ذات الصبغة

العالمية مثل موضوع حوار الحضارات وضرورة التفاعل؛ حيث تتخذ النصوص - من خلال هذه الرؤية النسقية للكون - موقفًا رافضًا لفكرة صراع الحضارات، ولفكرة « نهاية التاريخ »، أو « نهاية الإنسان ». ويؤكد النص على أهمية الاهتمام بهذه الأفكار كنوع من التفاعل مع معطيات العصر « لم يعد ممكنًا أن نتجاهل المتغيرات التى تحدث فيما حولنا، ليس فقط كمصريين؛ ولكن أيضًا كمسيحيين، وذلك بعد أن صار العالم قرية صغيرة، يستحيل أن يبقى فيها جزء بعيدًا عن الأجزاء الأخرى، فنحن أمام عولمة سياسية واقتصادية ومعلوماتية، وثقافية ستؤثر حتمًا فينا، وفى أجيالنا الصاعدة، فنظرية صراع الحضارات كما أرادها صموئيل هنتجتون لا تتحدث عن حضارات خالصة، بل فيها خلط بالأديان والثقافات.. ويتحدث فوكوياما وغيره الآن عن « ما بعد الإنسان » ويقصد بذلك تطورات تكنولوچية الچينات والهندسة الوراثية، وماذا سنفعل بالإنسان حيث تتطور حياة من يمسكون بناصية هذا العلم، بطريقة مختلفة تمامًا عن أولئك الذين لا يتقنون التعامل معه، وهذا سيؤدى حتمًا إلى مشاكل اجتماعية وسياسية... إلخ ». (حوار الحضارات وضرورة التفاعل، ٢٠٠٢، ص ٦-٧)

ويقوم الرأى هنا على تطوير مفهومات مسيحية حول الآخر، حيث يؤكد النص فكرة التنوع « فالاختلاف حتمى بين أعضاء الجسد الواحد، وكذلك الرؤى، فما معنى ذلك، وكيف يكون الإنسان نفسه دون السقوط فى الأنا، إنه يحقق ذلك لو أنه رأى المسيح فى كل آخر ». ويظهر النص نزعة إنسانية مفرطة فى النظر إلى الآخر، فى ضوء مقولة العيش فى سلام فى إطار نسق الأسرة والكنيسة والمجتمع والله. فالآخر هو « رفيق الطريق، والحبيب والصديق، كما أنه طريقى إلى الله، وهو يساعدنى على تشكيل نفسى، وعلى قبول نفسى، وعلى اكتشاف قدراتى ومواهبى. والآخر هو الذى يعلمنى ويعرفنى حدود حريتى، وهو طريقى لتصحيح أخطائى وانحرافاتى، وهو يصلى من أجلى »، كما أن « الآخر يشكل نوعًا من التحدى البناء لى ولغيرى.. لأرتفع بالنعمة وأمانة الجهاد فوق أهواء: الغضب، والحزن، والكبرياء ».

ومن الواضح هنا أن ثمة نزوعًا إنسانيًّا خالصًا، وثمة نظرة مثالية إلى الحياة، التى يجب أن تقوم على الانسجام التام بين العوالم المختلفة التى يعيش فيها الفرد، وعلاقته بالآخرين وعلاقته بالأسرة وبالكنيسة، وبالإنسانية. ولكن تبنِّى هذه النزعة الإنسانية الخالصة لا يمنع النصوص من أن ترفض وتنتقد كثيرًا من الأفكار والأطروحات التى تطرح على المستوى العالمى،

فالنص الذى يقرره الكاتب يبدو نصًّا معاندًا للعولمة، وداعيًا إلى عولمة تسود فيها روح الدين والإنسانية. ويؤكد على ذلك خطابه حيث يقول: « المسيحية أبدًا ما كانت دينًا سلبيًّا، يعزلنا عن حركة الحياة وتيارات المجتمع.. بل هى قوة ديناميكية قادرة على التفاعل الخلاق والعطاء الإيجابى ». ويقول أيضًا: « لاشك أن العولمة أصبحت واقعًا مُعاشًا، ولابد من أن ندرس أبعادها، لكى نتفاعل معها بعقل مفتوح، ووعى سليم، نأخذ ما فيها من إيجابيات، ونترك ما يشوبها من سلبيات، بإرشاد روح الله، والإنجيل المقدس، وفكر الآباء القديسين ».

٣- الخطاب المسيحى بلغة السياسة:

تم قراءة ٣٨ نصًّا من نصوص يوسف سيدهم فى الفترة من ٢٠٠١-٢٠٠٣، ويوسف سيدهم هو رئيس تحرير صحيفة وطنى التى تصدر أسبوعيًّا - كل يوم أحد - وهى الصحيفة التى تصدرها مؤسسة وطنى للطباعة والنشر، وهى صحيفة تعبر عن الأقباط، وتبرز مشكلاتهم وإن لم تصرح بذلك؛ إذ تذيل عنوانها ببيت الشعر القائل:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ويشير ذلك - إذا أُخذ على محمل المباشرة التى لا تبغى تأويلاً مبالغًا فيه - إلى أنها جريدة للوطن بأسره؛ أقباطه ومسلميه، ومع ذلك فإن القارئ لنصوص الجريدة وأخبارها وتحقيقاتها يجد اهتمامًا كبيرًا بمشكلات الأقباط وهمومهم.

وعند هذه النقطة تظهر النواة الرئيسية التى يتبلور حولها الخطاب، وهى قضايا الأقباط ومشكلاتهم وهمومهم، وحقيقة أن الخطاب يقفز خارج هذه الدائرة الضيقة، ويتحدث عن قضايا عامة أو يتفاعل مع الأحداث العالمية، ولكنه يعود دائمًا إلى الدائرة الأصلية التى لا يغض الطرف عنها بحال من الأحوال؛ بل كثيرًا ما يفتح الخطاب ملفات لموضوعات بعينها تخص هذه الدائرة، ويحاول تتبعها عبر سلسلة من المقالات تطول أو تقصر. ويدل ذلك على أن النصوص هنا لها هدف واضح، ولا يرتبط هذا الهدف بالوعظ والإرشاد أو إعلاء الجوانب الروحية والإنسانية، كما هو الحال فى خطاب البابا أو خطاب الأنبا موسى، وإنما يرتبط بوضع قضايا الأقباط فى بؤرة الضوء، وتحويل الخطاب القبطى إلى خطاب سياسى؛ ولذلك فإننا ننظر إلى نصوص يوسف سيدهم على أنها نصوص « **سياسية فكرية** »، ويضفى عليها هذه الصفة كونها لا تصدر من رجل دينى، وإنما تصدر من رجل علمانى يمارس عملاً مهنيًّا، كما أنها

لا تركن كثيرًا إلى التفسيرات الدينية أو إلى النصوص المقدسة، بقدر ما تهتم ببلورة قضايا سياسية واجتماعية وثقافية تتصل بالأقباط فى مصر، وبذلك فإنها تخرج بالخطاب القبطى إلى دوائر سياسية أوسع، وتضيف إليه الوظيفة الممنوعة عنه داخل الكنيسة. ويتوقع المرء أن يصاحب هذا الخروج من الدائرة الروحية إلى دائرة السياسة، خروج إلى لغة مغايرة، لغة يرافقها النقد اللاذع أو الامتعاض المفرط، أو « زلف » اللسان الذى تتاح له حرية التعبير والرأى.

وإذا ما اقتربنا من النصوص فى ضوء هذا المنظور نجد أن مشاكل وقضايا الأقباط حظيت بعشرين نصًّا من النصوص التى تم تحليلها بنسبة ٥٢٪ من مجموع النصوص، وحظيت المشكلات المحلية الخاصة بالمجتمع المصرى بشكل عام بثلاثة عشر موضوعًا بنسبة ٣٤٪ تقريبًا، وحظيت الموضوعات العالمية بخمسة موضوعات بنسبة ١٣٪ تقريبًا. وتشير هذه النسبة إلى تأكيد الفكرة التى بدأنا بها هذا التحليل لنصوص يوسف سيدهم؛ وهى أن جل نصوصه تدور حول مشكلات وهموم الأقباط فى مصر، وعندما يخرج إلى دائرة المجتمع ككل تقل هذه الموضوعات، وتصبح شحيحة إذا ما دخلنا إلى الدائرة العالمية. فهل نحن هنا بصدد خطاب منغلق على ذاته؟ أم بصدد خطاب يتمركز حول ذاته أو حول جماعته الإثنية محاولاً تفحصها، وينظر إلى العالم والمجتمع من خلالها؟ أم بصدد خطاب مقاوم يحاول أن يُحدث ثقوبًا فى جدر مغلقة، ويفتح ملفات لقضايا مسكوت عنها؟

دعنا نقترب أكثر من النصوص لنكتشف كنهها ونسبر أغوارها وبنيتها العميقة...

أ- الدائرة الأم: قضايا وهموم الأقباط: تحتل قضايا ومشكلات الأقباط الدائرة الرئيسية فى نصوص يوسف سيدهم. وبقراءة النصوص يمكن استخلاص خمسة موضوعات رئيسية تدور حولها النصوص التى كتبت حول مشكلات الأقباط أو « هموم الأقباط » كما يحلو للكاتب أن يسميها.

بناء الكنائس: تحاول النصوص أن تبرز المصاعب التى يواجهها الأقباط فى بناء الكنائس، وتتحدث فى هذا الصدد عن « الخط الهمايونى » الذى صدر عام ١٨٥٦م، والذى قصد منه كفالة حقوق المسيحيين فى الولايات التابعة للباب العالى العثمانى؛ ويؤكد النص عند تعرضه لهذا الموضوع على أن هذا الخط « لم يكن فى الأصل « خطًا همايونيًّا بغيضًا » ولكن روح تطبيقه فيما بعد هى التى حولته كذلك.. ولعل الرغبة الجامحة التى راودت بعض المسئولين فى

عرقلة أى نية للتيسير على المسيحيين فى شأن بناء كنائسهم، هى التى أفرزت ما نوهت عنه المذكرة عن القرار المعروف باسم « قرار العزبى باشا ».

وفى ضوء هذا المنظور، يحاول النص أن يبرز كيف حدث هذا التحول فى تطبيق « الخط الهمايونى » وتحويله إلى « خط بغيض »، حيث تحاول المقالات المختلفة سرد قصص بناء الكنائس، وما يحدث فيها، فهو يحكى قضية كنيسة قرية « منقطين » والقرى المجاورة لها حيث أعيتهم « الحيل لمدة ثلاثة عشر عامًا (١٩٧٧م-١٩٩٠م) فى طلب ترخيص كنيسة دون جدوى اضطروا إلى إقامة مبنى عادى، وقاموا بإعداده وتجهيزه للصلاة فيه، ولدى مباشرتهم طقوس الصلاة جاءت الأوامر من الجهة الأمنية لمطرانية سمالوط بسرعة إغلاق المبنى؛ لأن الاستمرار فى مباشرة الصلاة فيه دون ترخيص يعد تحديًا لسلطة الدولة ».

كما يحكى قصة كنيسة قرية بنى واللمس بمحافظة المنيا قائلاً « كنيسة صغيرة فى قرية هادئة تم بناؤها بموجب تصاريح رسمية، وجرى ترميمها مؤخرًا بموجب تصاريح رسمية أيضًا، يبتهج شعبها بانتهاء أعمال الترميم ويحتشد مع كاهنها وبتشريف أسقف الأيبارشية لتدشينها فى صلوات أول قداس عقب التجديدات، وما إن بدأ الأسقف فى الصلوات حتى فوجئ الجميع باقتحام الغوغاء المكان وبالحجارة ترشقه من الخارج، وبسيل من التكسير والإتلاف والحرق مغلف بالسباب والصراخ ناشرين الرعب والهلع فى أرجاء المكان.. وكأن تدمير الكنيسة لم يشف غليلهم؛ فراحوا يقتحمون المنازل المجاورة يعبثون فيها وفى محتوياتها حرقًا وتدميرًا، ثم يستكملون مسلسل الشر بتفريغ البقية الباقية من شهيتهم للإرهاب فى حرق السيارات الموجودة خارج الكنيسة ».

ومع سرد هذه القصص وإبرازها، وتوضيح مدى الظلم الذى يقع على الأقباط من جرائها ومن تكرارها، يؤكد النص سلبية الحكومة، وعدم إقدامهم على إجراءات حاسمة، محذرًا فى كل الأحوال من مغبة ذلك وآثاره وعواقبه. فعند حديثه عن قرار هدم مبنى فى كنيسة المطرانية بحى شبرا من قبل المسئولين يعلق قائلاً: « إننا لم نسمع عن أى تحقيق يتم مع المتسببين فى قرار الهدم أو الذين سكتوا على تنفيذه.. فالمألوف فى مثل هذه الأمور - بالنسبة للكنائس وما يتصل بها - أن يتم التصحيح فقط دون حساب أحد، أو أن يتم الربت على كتف المسئول المخطئ بحنان لعدم تكرار ذلك... أما مدلولات ذلك كله فهى ما يخلفه من مفاهيم خطيرة

تترسخ لدى الرأى العام ناشرة فكرًا متعصبًا مغلوطًا، مؤاة لا جرم ولا مؤاخذة على من يعرقل أو يحول دون إتمام بناء كنيسة، أو أى مبنى ملحق لها »

بناء مقابر للمسيحيين: وتسرد النصوص قصصًا لمشكلات بناء مقابر المسيحيين، مستنكرة لتطبيق نفس قواعد « الخط الهمايونى » عليها مثل بناء الكنائس. وتتناول إحدى المقالات هذا الموضوع، فتسرد قصةً طلب فيها أهالى إحدى المناطق من المجلس المحلى بناء مدافن للمسيحيين على أرض خصصوها لهذا الغرض « وانتهت إجراءات فحص الأوراق إلى أن الكتاب الدورى رقم ٤ لسنة ١٩٩٨م الصادر من وزارة الداخلية، يفيد بأن إقامة مدافن خاصة للطوائف غير الإسلامية تعد من الأعمال التى تخضع لأحكام القانون المنظم لدور العبادة لغير المسلمين وهو الخط الهمايونى الصادر فى ١٨٥٦م، وبناء عليه تتخذ نفس الإجراءات اللازمة لإنشاء الكنائس، لذا فإن إقامة هذه المدافن تستلزم استصدار قرار جمهورى. ويقول المواطنون المتضررون من بقاء هذا الوضع المعلق أن له مردودين سلبيين: **الأول** ما يعكسه فى نفوس جيرانهم المسلمين من انتصار الحساسيات المفتعلة لمجرد مضايقة الأقباط، **والثانى** ما يخلفه فى نفوس الأقباط من مشاعر متأججة ومرارة تتجدد كلما توفى أحد ذويهم واضطرارهم اللجوء إلى أقرب منطقة مدافن على بعد ثلاثة كيلو مترات منهم ».

واللافت للنظر فى هذا النص: أنه يتحدث باسم المواطنين المتضررين من هذا الوضع، محاولاً أن يلفت الانتباه إلى أن استمرار هذا الوضع يخلق عداوة بين المسلمين والأقباط. ويبدو أن النص يمزج بين رأى المواطنين ورأيه الخاص، بحيث يحول الآراء التى يبرزها النص إلى آراء عامة وليست آراء خاصة، وهنا ينصهر العام بالخاص، ويصبح الخطاب الكنسى ذو الطابع السياسى خطابًا مفوضًا. فعندما يميل الخطاب إلى الحديث باسم مجموع الشعب القبطى، فإنه يحصل على صك تفويض للحديث باسم الأقباط، ومن ثم يكتسب مزيدًا من المشروعية.

التحيز ضد الأقباط(*): ويحتل موضوع التحيز ضد الأقباط مساحة من الخطاب؛ حيث تتفاعل النصوص مع الأحداث التى يتعرض لها الأقباط، أو الشكاوى التى يتلقاها المحرر من

(*) يلاحظ أن ما يوصف عادةً بأنه تحيز ضد المسيحيين هو عبارة عن ممارسات سلبية يعانى منها المصريون (مسلمون ومسيحيون) فى مواقع مختلفه، وليس هناك ما يدل دلالة قاطعة على سببها هو الدين: المسيحى بالنسبة للمسيحيين، والإسلامى بالنسبة للمسلم. (المحرر)

أقباط تعرضوا لصور من الظلم أو التحيز. ويبدو النص هنا وكأنه نص دفاعى ذو طابع سياسى، يحاول أن يبرز المشكلات المتصلة بالتحيز ضد الأقباط فى حقول الحياة المختلفة، فى مكان العمل أو فى التعليم، أو حتى فى المواطنة. وفيما يلى نماذج على الطريقة التى تعرض بها النصوص لهذه الصور من التحيز:

- **التجاوز فى الترقيات**: كما تعبر عنه مشكلة المهندس الزراعى الذى بدأت مشكلته عام ١٩٩٥م « حين خلت وظيفة مدير الإدارة التى يعمل بها، وكان هو وقتها معينا على الدرجة الأولى ويتمتع بأحقية مطلقة بين زملائه لشغل وظيفة مدير الإدارة لأقدميته ولامتياز جميع التقارير عنه، لكن مديرية الزراعة كان لها رأى آخر، وأصدرت قرارًا بتكليف المهندس مصطفى محمد عبد الفتاح لوظيفة مدير الإدارة بدلاً من المهندس محروس عطية روفائيل »
- **التجاوز فى التعيين فى الوظائف**: كما عبر عنه الحوار الذى نشب بين المحرر وبين قسم جراحة الأعصاب فى طب الزقازيق، حيث اتهم المحرر القسم بتجاوز تعيين أحد الأقباط فى درجة مدرس مساعد بالقسم، متحدثًا عما أسماه « مسلسل ذبح الشباب القبطى ». وفى تعقيبه على رد القسم الذى اتهمه « بالتعصب الكريه والمغالطات فى حق كليات الطب عمومًا »، أكد على أهمية « فتح الملف الأزلى الذى يزخر بالمآسى »، ودعا القراء والضحايا أن يكتبوا إليه عن تجاربهم فى هذا الخصوص.
- **عدم العدالة فى الفرص الإعلامية**: وخاصة فيما ينشر عن الذين يغيرون دياناتهم، وجاء هذا الحديث ضمن سلسلة مقالات بعنوان « الأمور المسكوت عنها »، وفيه عبَّر عن عتاب ناقد للتلفزيون المصرى وجريدة الأهرام، حيث يبث الأول برنامجًا بعنوان « جوهر الحياة » يقدم فيه المرتدين عن المسيحية، وتسمح الثانية بأن ينشر فى بريد قرائها ثناء على هذا البرنامج، ويحكى قصة سيدة جاءته تحكى له قصة اعتناقها للمسيحية بعد قراءتها للإنجيل، وينهى المقال بأنه يطلب من وزير الإعلام ورئيس تحرير جريدة الأهرام أن ينشرا قصة هذه السيدة بنفس الطريقة التى تعرض بها قصص المرتدين عن المسيحية.

ب- دائرة الوطن: النقد والاستنكار: قد يسأل المحلل لهذه النصوص ماذا عسى أن تكون

openkan.com

رؤية الكاتب لنسيج الوطن إذا كان خطابه يتمركز بقوة حول حقل هموم الجماعة الدينية التى ينتمى إليها؟ وقد تكون إجابة هذا السؤال سهلة إذا تأمل القارئ هذا النص « إن ملف هموم الأقباط جزء من ملف الهموم المجتمعية المصرية، ويجب أن يعمل المصريون جميعًا على فتح الملف الأكبر على المائدة المصرية، ويجلسوا جميعًا على هذه المائدة، ليس كأقباط ومسلمين، ولكن كمصريين فاعلين منتشرين فى كافة المؤسسات السياسية والعامة، تجمعهم برامجها وخططها وتطلعاتها ولا يلتفتون للهوية الدينية لأى منهم ». هذا نص حداثى، يتجاوز فيه الكاتب حدود الأفق الضيق للجماعة الدينية، ويتدفق بعقل مفتوح إلى أفق الجماعة الاندماجية التى لا تتخذ من انتماءات الملة والأقلية حدودًا ضيقة للحركة.

ومع هذا فإن نصوصًا كثيرة تؤكد على أن هذا الفيض الوطنى غير متحقق، وأن ثمة إشكالات فى سُدى ولِحمة الحياة الاجتماعية كما تكشف عنها مجليات التفاعل اليومى: فثمة إشارات إلى صور عدم المساواة فى التعامل بناء على الانتماء الدينى، وثمة دعوة صريحة إلى العمل على تجاوزه، وثمة استفهام عن الوقت الذى يمكن أن نستغرقه لتحقيق هذا التجاوز « ولست أدرى كم من الوقت سنحتاج للتخلص منها، ومحو وصمة العار التى تلصقها على مجتمعنا الذى يتغنى بالمحبة والمساواة والسماحة ». وثمة إجراءات يجب أن تتبع لتحقيق ذلك « فالأمر يتطلب تعميق مفهوم المواطنة والتنشئة السياسية، كما يتطلب تحويل عنصرى الأمة إلى ممارسة يومية..فلابد من ترسيخ مفهوم العيش معًا فى هذا الوطن فى شفافية وعدم إخفاء الخلافات، ولا ينبغى التغنى بوحدة النسيج دون التأكيد على سلوك القنوات السليمة للتفاعل الداخلى.. لذلك ودون شك ينبغى فتح ملف « هموم الأقباط » دون خوف أو تردد ».

من الواضح هنا: أن الخطاب يتحول إلى خطاب نقدى استنكارى. ولا تُوجه سهام النقد هنا إلى ما يعتور نسيج الأمة من تفكك فحسب، بل يتجه إلى ميادين متفرقة منها:

- ما طرأ على شخصية الشعب المصرى من تغير، أدى إلى تقلص ما عرف عنه من تسامح ومحبة « يجتهد الخبراء والمحللون فى تفسير الكثير من سلوكيات المواطن المصرى الذى تغيرت طبيعته جدًا عبر نصف القرن الماضى، ويقف الجميع حيارى يرصدون تراجع سمات الطيبة والهدوء والوداعة من الشخصية المصرية، ليحل محلها العصبية والفوضى والانفلات. ولا يخفى على أحد ذلك التغيير الذى يتأكد كلما تركنا الريف واتجهنا إلى

الحضر، ونجده أكثر وضوحًا فى المدن الكبيرة عنه فى المدن الصغيرة. وأخيرًا يفرض نفسه فى أبشع صوره فى نموذج المواطن القاهرى؛ أى المواطن الذى يعيش ويتحرك ويعمل فى عاصمة الأربعة عشر مليونًا.. وإذا بحثنا فى واقع اهتزاز شعور الانتماء لدى كثير من المواطنين المصريين؛ سوف نكتشف حقيقة مؤسفة لعلها السبب الأساسى وراء ذلك الواقع، وهى غياب عنصر المشاركة الفعلية لدى المواطن فى تسيير أمور بلده، فقنوات الاتصال مقطوعة بينه وبين المؤسسات التشريعية، حيث المشهد يقتصر على حصانة وعجرفة المسئولين إزاء أى مساءلة».

- وتصب النصوص جمّ نقدها على فوضى السيارات فى مدينة القاهرة، حيث تتحدث أحد النصوص عن ما تسميه «القنابل الموقوتة»، ويقصد بها «حالات لا حصر لها من السيارات الخاصة والأجرة الحكومية، علاوة على السيارات التى تحمل لوحات تابعة للشرطة أو الجيش، بالإضافة إلى الحافلات وسيارات النقل على مختلف أشكالها وأحجامها، فالسِّمة التى أصبحت غالبة على شارعنا المصرى - باستثناء نسبة صغيرة من سيارات الملاكى حديثة الإنتاج - هى تدهور الصلاحية الفنية لتلك القنابل السيارة بشكل واضح، يجعل منها تهديدًا حقيقيًّا لحياة المواطنين سواء راكبوها أو جيرانهم على الطريق ركابا كانوا أو مترجلين».

- وتتسع موضوعات الحديث عن المشكلات الداخلية للحديث عن قضايا متفرقة مثل النقد الموجه إلى السياسات التعميرية غير السياحية -مثل تعمير الساحل الشمالى- وتعثر القطاع الخاص فى مشروعات الإسكان، وأوجه النقص فى تطوير مدينة الإسكندرية التى لم تستطع المحافظة فيها تبنى خطة لتوفير منطقة جبانات جديدة خارج الكردون العمرانى لمدينة الإسكندرية، والاستغلال الذى أبداه التجار فى أسعار بيع أحزمة الأمان للسيارات، وغير ذلك من الموضوعات.

- ولم يسلم حتى القضاء من هذا النقد، حيث تشير أحد النصوص إلى تخلى بعض حراس العدالة والقانون عن الحيدة والنزاهة وعفة الحوار، مؤكدًا على ذلك بقوله: «يكاد يكون مألوفًا من أشخاص بعينهم يستمرون يشغلون مواقعهم؛ إما لأن الأجهزة الرقابية غافلة عنهم؛ أو لأنهم يحتمون بأولى الأمر». وليس القضاء فحسب، بل المحكمة الدستورية

العليا التى كتب عنها يقول: «لعل المراقب المنصف للساحة التشريعية المصرية خلال الأعوام الماضية لن يفوته رصد حالات الارتباك والاضطراب التى أحدثتها الأحكام الصادرة عن المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية قوانين، وذلك انعكس على مجالات مختلفة -منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها- مما كان له مردود من الحيرة والشك فى أوساط الرأى العام، بخلاف ما تسبب فيه من ضياع قدر -أتصور أنه ضخم- من ساعات العمل التى أنفقت فى تطبيق القوانين التى حكم بعدم دستوريتها، أو فى توفيق أوضاع مؤسسات أو شركات أو جمعيات ثم تبين عدم جدواها».

جـ- الدائرة الأخيرة: دائرة الملاذ: عند هذه الدائرة تضيق العبارة، ويطل المديح برأسه بدلالة رمزية على الإعجاب والتعاطف. ففى مقابل البكاء على أحزان الأقباط وهمومهم فى الدائرة الأولى، والحسرة على الوطن فى النقد اللاذع الذى يتدفق فى الدائرة الثانية، يبدو الانشغال بالقضايا العالمية قليلاً وباهتًا، ولكنه يبدو -على شُحه- وكأنه يرمز إلى مأوى للخلاص. ففى مقابل النقد اللاذع لواقع الحياة والناس فى مصر، يطل علينا إعجاب مفرط بالغرب: ديموقراطية، وعادات، وأسلوب حياة.

- فها هو النص يمجد خطاب الرئيس جورج بوش، ويلوم الشعوب العربية على النظر إليه بوصفه «وثيقة اتهام»، حيث يؤكد النص على أن «خطاب الرئيس الأمريكى جورج بوش فى ٧ نوفمبر الجارى (٢٠٠٣م)، أمام المجلس الوطنى لتنمية الديمقراطية بمناسبة مرور عشرين عامًا على تأسيس «الصندوق القومى للديموقراطية» أحدث أصداء مهمة للغاية، ولعله ينال ما يستحقه من اهتمام حكومات وشعوب منطقتنا، بدلاً من تركيزها على التعامل معه وكأنه «وثيقة اتهام» فردود الفعل الرسمية والإعلامية عندنا لذلك الخطاب لا تزال تنحصر فى رفض التدخل الأمريكى فى شئون دول المنطقة، ورفض فرض الديموقراطية من الخارج على شعوبها، علاوة على محاولات طريفة لتغيير مضمون الخطاب، وتحوير بعض عباراته لدفع الاتهام عن دول بعينها أو التهرب من مواجهة المسئولية السياسية الملقاة على عاتق دول أخرى».

- ولا يظهر الإعجاب بالغرب بالدفاع الواضح عن أجندته السياسية؛ بل يظهر فى

الإعجاب بعاداته، حيث نجد أمامنا نصًّا يتحدث عن مراسم العزاء فى جنازة الملكة الأم فى انجلترا، وتؤكد إحدى عبارات النص على أن المقام ليس تأبين هذه الشخصية «المحبوبة»، وإنما هو شيء آخر يتبين من هذا النص «لست هنا فى معرض تأبين هذه الشخصية المحبوبة إلى قلب الشعب البريطانى وكثير من شعوب العالم التى عرفتها عن قرب، ولكن ما أطرحه اليوم هو خاطر طالما راودنى كلما تابعت مراسم تشييع جثمان شخصية عامة فى الخارج؛ لأجد نفسى مدفوعًا لعقد مقارنة مؤلمة بين ما أشهده، وبين ما نعهده فى بلادنا وفى منطقتنا.. إن الفارق الأساسى الواجب التسجيل لا يكمن فى العادات أو الطقوس أو الصلوات، ولكنه يجسد بقوة فى نقيضين «الصمت والصراخ».

وفى مقابل هذا الإعجاب بالغرب؛ فإن النصوص تتجه -خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر- إلى محاولة تأكيد فكرة إعادة النظر فى أحوالنا، وفى علاقتنا بالغرب، وأن نواجه الإرهاب بشكل فعال. وقد أطلق الكاتب على حدث الحادى عشر من سبتمبر «يوم الثلاثاء الحزين»، ويصفه بأنه «كارثة بكل ما احتوته من خسائر مادية وبشرية؛ فإذا أضفنا إليها باقى فصول ومشاهد ذلك اليوم الأسود الحزين من هجوم مباغت على وزارة الدفاع الأمريكية -فى سيناريو طبق الأصل لهجمة انتحارية لطائرة مدنية أيضًا- فسوف نتفهم ضرورات ما تم اتخاذه من قرارات وصفت بأنها غير مسبوقة فى التاريخ الأمريكى، مثل إيقاف حركة الطيران المدنية برمته، وإغلاق جميع المطارات الأمريكية، وإغلاق حدود أمريكا الجنوبية مع المكسيك ثم الشمالية مع كندا، بالإضافة إلى حمى إخلاء جميع المبانى الرسمية التى اجتاحت المدن الأمريكية الكبرى».

ويؤكد الكاتب على أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد خلقت واقعًا جديدًا، وأن الأحداث التى تفجرت بعدها مازالت فى عنفوانها، وأن «ذلك كله يحتِّم علينا أن نُمعن النظر فى أنفسنا لنحدد بصدق أين موقعنا وسط كل هذه الأحداث، ونحاول استقراء ما يحمله المستقبل لنا، وقد ينطوى ذلك على مخاطرة السباحة ضد التيار، ولكن إدراك أن رسالة المنابر السياسية والإعلامية هى تبصير الرأى العام بالحقيقة حتى وإن خالفت توقعاته أو تناقضت مع ما يريد أن يسمع، يجعل مخاطرة السباحة ضد التيار مخاطرة حكيمة وليست خطيئة».

وبينما تتعاطف النصوص مع الغرب، وتطالب الدول العربية بمراجعة النفس؛ فإنها لا

تستنكف عن أن تطالب أمريكا بمراجعة سياساتها تجاه الدول التى لا تلتزم بالحريات السياسية والاجتماعية، مؤيدًا فى ذلك ما أكده بوش من أن «السياسة الأمريكية التى امتدت نحو ستين عامًا -بعد الحرب العالمية الثانية- فى تأييد أنظمة حكم لا تلتزم بالحريات السياسية والديموقراطية قد فشلت، ولم يعد يجدى إبداء التفهم واختلاق الأعذار لتلك الأنظمة إزاء تعويقها الإصلاح السياسى ومقاومتها للديموقراطية؛ لأن الضحية من جراء ذلك لم تعد شعوبها فقط؛ ولكن انحسار السلام والاستقرار والطمأنينة عن العالم الحر أيضًا».

٤- آليات الخطاب المسيحى:

ثمة اختلاف ظاهر بين الآليات التى يستخدمها الخطاب الكنسى، والآليات التى يستخدمها الخطاب القبطى السياسى خارج الكنيسة؛ ولذلك فسوف نشير فى حديثنا عن كل آلية من آليات الخطاب إلى المجال الذى تظهر فيه على نحو واضح.

أ- إشاعة روح التفاؤل: هذه آلية تظهر على نحو واضح فى خطاب البابا، فالخطاب فى معظمه يعكس روح التفاؤل «هذا التفاؤل يأتى من الإيمان والرجاء: الإيمان بأن الله صانع الخيرات، والرجاء فى أنه سوف يعمل عملاً». وهو فى سعيه نحو بث هذه الروح يستخدم آليات توعية مثل:

- سرد القصص والحكايات حول الرسول والقديسين والشخصيات المسيحية التى كانت متفائلة ومؤمنة بقضاء الله؛ فتحملت الصعاب من أجل الله ومن أجل المبادئ الروحية فيقول: «لخلاص السامرية والسامريين وقت، وللقضاء على الشيوعية والإلحاد وقت، ولقبول الأمم وقت، ولا نيأس مع أحد». ويتحدث عن القديس بولس الرسول فيقول: «أصابته ضربة شديدة - عبارة عن شوكة فى الجسد - فتضرع إلى الله ثلاث مرات أن يرفعها عنه؛ ولكن الله سمح باستبقائها وقال له تكفيك نعمتى»، ثم ينتقل إلى حياة أيوب الصديق فى تجربته وما آل إليه أمره «فقد ضاع منه كل شىء: لقد فقد كل بنيه، وكل أملاكه، وفقد صحته وهيبته أمام أصحابه، وحتى أمام خدمه..! ومع ذلك كان الله يُعد له خلاصًا، وعوضه ضعف ما كان له، وكانت آخرته خير من أولاه».
- الاستفهام المصحوب بتقديم التفسيرات والبراهين والحجج التى تؤكد على التفاؤل، فهو فى العادة يطرح سؤالاً؛ ثم يأتى كل النص للإجابة عنه، فقد يحاول أن يؤكد على وجود

اللّٰه مع الإنسان فى جميع الأوقات؛ فهو لا ينسى أبناءه فيقول: « إلى متى يا رب تنسانى؟ »، ثم يحاول تحديد مسئوليات الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين فيقول: « ما هى مسئوليتك »، ويتناول أحد المبادئ العقائدية، وهى التجسد والميلاد فيقول: « كيف أعد اللّٰه قصة التجسد والميلاد ».

ب- آلية التضمين والتشويق: يرتكز الخطاب من خلال عرض نصوصه على آلية مهمة ركزت عليها نصوص البابا -خاصة- وهى الاعتماد على التضمين سواء بالنصوص الدينية أو بأقوال الشعراء أو بالأمثال الشعبية وبالأقوال المأثورة.

- **الرجوع إلى النصوص الدينية**: والتى جاءت باعتبارها عناوين رئيسية للمقالات، فمن بين ٥٦ مقالاً تأتى الاستعانة بالنصوص فى مقدمة المقالة فى ١٧ مقالاً من مقالاته مثل:

- « إذا قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، اترك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك » (مت ٥: ٢٣، ٢٤).

- « اسألوا تُعطوا، اطلبوا تَجدوا، اقرعوا يُفتح لكم، إن كل من يَسأل يأخذ، ومن يَطلب يَجِدْ، ومن يقرع يفتح له » (مت ٧: ٧، ٨).

- « أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣: ١).

- « وأكون أنا فيهم » (يو ١٧: ٢٦).

وهكذا نجد أن النصوص الدينية جاءت على طول الخطاب، إما كعناوين للمقالات أو داخل المقالة نفسها، فلا تخلو واحدة من النصوص، إلا وجاءت فيها هذه الاستعانة. ولم يكتف البابا بعرض النصوص الدينية؛ بل استعان أيضًا بعنصر روحى آخر وهو « الشعر».

- الرجوع إلى أقوال الشعراء: حيث جاءت الاستعانة بأقوال الشعراء لتوضيح فكرة أو تأكيدها أو البرهنة عليها، فهو حين أراد أن يؤكد على أن الإنسان الميت هو الميت روحيًّا وليس جسديًّا يقول عنه:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

وحاول أن يؤكد على استفادة الأفراد من النصيحة من خلال قول الشاعر:

لقد أسمعت إذْ ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادى

وعندما يوضح فوائد التعلم من التجارب يرجع إلى قول الشاعر:

جزى اللّٰه الشدائد كل خير ... عرفت بها عدوى من صديقي

وعن ضرورة تذكر الإنسان لظلمه للآخرين يلجأ إلى قول الشاعر:

وما من يد إلا يد اللّٰه فوقها ... ولا ظالم إلا سيُبلى بأظلم»

ولم يكتف النص بتضمين النصوص الدينية والشعرية، بل لجأ أيضًا إلى الاستعانة بالأمثلة الشعبية، والقصص التراثية فيحكى عن قصة سيدنا إبراهيم أبى الآباء والأنبياء، وعن سيدنا لوط عليه السلام وغيرهم من الأنبياء.

كما استشهد فى الضيقة (الشدة) بالزانية فى قصة أبا مقار« التى أخطأت مع أحد الشبان، وحملت منه سفاحًا، واتفقا معًا على أن تلصق التهمة بالقديس مقاربوس ». كما تحدث عن عذراء النشيد ليوضح « نحن لا نسير فى الروحيات بطريقة أنصاف الحقائق، ولا نسير فى فهم تعليم الكتاب بطريقة الآية الواحدة ».

جـ- النصح والإرشاد: ويميل الخطاب البابوى خاصة نحو استخدام استراتيجية النصح والإرشاد، عن طريق تقديم أوامر بشكل سريع فى ثنايا النص دون أن تكون مقصودة مثل قوله « اركضوا لكى تناولوا، وهذه درجة أعلى »، أو قوله « إن التوقف فى الحياة الروحية يجلب الفتور. فكن دائم الحركة ». وقد يميل الخطاب إلى استعطاف متلقيه بوصفهم بالأخوة « الحياة الروحية يا إخوتى لها حركة... سواء فى هذا العالم أو العالم الآخر». وتسيطر على الخطاب البابوى فكرة « الطبيب الروحى » التى يستخدمها البابا فى خطابه، وهذه مهمة رجل الدين فى تعامله مع المخطئين الذين يحتاجون إلى « قيامة جديدة »، فالشخص منهم بمثابة الإنسان الميت الذى يحتاج روحيًّا « إلى من يقيمه. (فهو) يحتاج إلى علاج وإلى طبيب روحى ».

د- التنشئة الكنسية: لاشك أن خطاب البابا يتجه إلى تنشئة الأقباط على مثل بعينها، ولكن آلية التنشئة تظهر بوضوح أكبر فى خطاب أسقف الشباب، وهو خطاب يتجه إلى شريحة عمرية فى طور التكوين وهى شريحة الشباب. ولذلك نجد أن الخطاب يتجه إلى بلورة

القضايا التى تهم الشباب، أو يتجه إلى مشكلات الشباب على نحو خاص. وفى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم لماذا احتلت قضيتا الاغتراب والانتماء مكانًا محوريًّا فى النصوص، وكيف ربطت النصوص بين الاغتراب والتدين من خلال الحديث عن الاغتراب عن الله ضمن صور الاغتراب المختلفة، ولاشك أن التقابل بين الاغتراب والانتماء، ووضع الموضوعين تجاه بعضهما البعض يعكس هذا السعى نحو التوجيه والمذهبة. فالانتماء عكس الاغتراب، وإذا كان الاغتراب أمرًا غير مرغوب فيه؛ فإن الانتماء هو المقابل الذى ينقل الفرد من حالة الابتعاد عن الله إلى حالة القرب من الله، ومن حالة عدم المسئولية إلى حالة المسئولية. فالانتماء يفتح قلب الإنسان لله والوطن، ويشعره بالمسئولية الحقة. ونستطيع أيضًا فى ضوء هذه الآلية أن نفهم لماذا اتجه خطاب أسقف الشباب نحو القضايا العالمية المرتبطة بالعولمة؛ حيث تحاول النصوص أن تقدم رأى الكنيسة فى هذه القضايا، وأن تزيد من وعى الشباب بها، ولاشك أن ثمة انتقائية ظاهرة فى الموضوعات التى يتم تناولها، فهى موضوعات تهم الشباب من ناحية، وتكشف عن القضايا التى يتحرك نحوها الخطاب الدينى، مثل الانفلات الجنسى، والثراء السريع، والتطرف، واهتزاز القيم، والبطالة، وثقافة الاستهلاك، وغيرها من القضايا التى ترتبط بعولمة الحياة المعاصرة. كما أن الخطاب يميل إلى تعريف الشباب ببعض القضايا ذات الطابع العالمى عندما يحدثهم عن الخصخصة وسيطرة رأس المال على وسائل الإعلام، وسيطرة رجال الأعمال على السياسة، واتفاقية الجات.

ويستطيع القارئ للخطاب الكنسى سواء خطاب البابا أو الأنبا موسى، يستطيع أن يستخلص القيم الأساسية التى يود الخطاب أن يغرسها فى نفوس متلقيه، ومنها:

- الوعى بمتغيرات العصر.
- الوعى بالآخر وضرورة الحوار معه.
- الشعور بالمسئولية.
- النظرة الكلية للكون التى لا تفصل العمل الدينى عن العمل الدنيوى.
- الوعى بالمشكلات العالمية.
- الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى.

- التوازن فى الإيمان وتوزيع الولاء.

- التنوع والاختلاف.

هـ- الشكوى والامتعاض: تظهر هذه الآلية فى الخطاب القبطى عندما نخرج من العالم الكنسى إلى عالم السياسة، ولذلك فقد ظهرت بوضوح فى نصوص يوسف سيدهم، الذى سخر جل نصوصه لقضايا ومشكلات القبطى يبرزها ويعبر عنها ويشكو من عدم الالتفات إليها والسكوت عنها، وإذا خرج النص عن هذه الدائرة فإنه يتحول من الشكوى إلى النقد والامتعاض.

- **الشكوى**: وتتعدد صور وتعبيرات الشكوى فى الخطاب القبطى السياسى، فهى تأخذ أحيانًا صورة سرد النصوص والحكايات، وأحيانًا أخرى صورة الاستنكار والسؤال؛ كأن تؤكد النصوص فى موضع ما هذا السؤال: وهل يرضى إخواننا المسلمون هذا الأمر؟! وأحيانًا ثالثة باستخدام عبارات كبيرة كأن يتحدث عن « ملف الأقباط » أو « المسكوت عنه » أو « لنفحص أنفسنا » وغير ذلك من العبارات، وأحيانًا رابعة باستخدام أسلوب العتاب – خاصة – العتاب على المسئولين أو على الصحف أو على أجهزة الدولة. ويبدو الخطاب بهذا الشكل وكأنه خطاب مفوض من قبل الأقباط للحديث عن مشكلاتهم وإبرازها.

- وإذا ما انتقلت النصوص من عالم وهموم الأقباط إلى عالم الحياة الاجتماعية، فإنها تتحول إلى نصوص ممتعضة لا تجد فى الحياة شيئًا جميلاً، ولا تترك شيئًا دون أن توجه إليه بعض السهام. فالشخصية المصرية تغيرت وتخلت عن طيبتها ووداعتها وهدوئها، والحياة الاجتماعية اليومية تحولت إلى صخب أو إلى « قنابل موقوتة »، وخطط التنمية غير مكتملة؛ لأنها تترك دائمًا شيئًا قابلاً للنقد، والاقتصاد فى حاجة إلى مراجعة، والقضاء تتسرب إلى بعض دوائره صور من التحيز وعدم العدالة، وحتى الأحكام القضائية قد يصيبها قدر من الارتباك والاضطراب.

و- معيارية الغرب: مع أن النصوص الصادرة من داخل الكنيسة قد تنقد أفكارًا غربية على اعتبار أنها غريبة أو متعارضة مع الدين، كما ظهر فى بعض نصوص الأنبا موسى عندما يعرض بالنقد للماركسية والإلحادية وغيرها من الأفكار الغربية، أو عندما يتعامل مع قضايا

خلافية، مثل قضية أطفال الأنابيب أو قضية الاستنساخ، نقول: أنه على الرغم من ذلك؛ فإن نصوص الخطاب القبطى تُبدى إعجابًا شديدًا بالغرب عندما تخرج عن دائرة الكنيسة وتتحول إلى عالم السياسة، ويبدو الغرب أحيانًا وكأنه النموذج المعيارى الذى يجب أن يحتذى، أو كأن ثمة توحدًا مع هموم الغرب ومشكلاته، فيتحول الخطاب هنا إلى خطاب غربى أكثر من الغرب، على ما نقول « ملكى أكثر من الملك »، يحاول أن يدافع عن أفكاره وأجندته بشكل مباشر أو غير مباشر.

خامسًا: نظرة عامة على الخطاب

١- الخطاب الإسلامى:

ونخلص من عرضنا لخريطة الخطاب الدينى الإسلامى على المستويات الأربعة: الأزهرى، والمُعوْلَم، والناقد، والدعوى الجديد ومن عرضنا لآليات الخطاب. إلى عدد من النتائج العامة نعرضها فيما يلى:

أ- إن النظرة الأولى للخطاب الدينى الإسلامى ترى: أن ثمة تعددية وتباينًا وتنوعًا فى وجهات النظر، التى ربما ترجع فى جزء منها إلى اختلاف المنطلقات الفكرية التى تغلف هذا الخطاب؛ فمنها الخطاب الذى ينطلق من الفكر الأزهرى الخالص، ومنها الخطاب الذى ينطلق من مدارس واتجاهات أخرى اكتسبها صاحبها من خلال دراسته الجامعية أو اطلاعه الشخصى. وقد يرجع هذا التعدد والاختلاف -أيضًا- إلى ميل البشر جميعًا إلى الاختلاف، وهو أمر طبيعى وعام وأبَدِى وسيظل إلى يوم القيامة. ويرى الشيخ يوسف القرضاوى: أن الخلافات التى أسبابها فكرية لاختلاف وجهة النظر وزاوية الرؤية وتقدير النتائج، يعد خلافًا محمودًا وفطريًّا ومقبولاً[٢٢]. أما غير ذلك: فهو عقوبة قدرية ينزلها الله بمن انحرف عن الصراط المستقيم[٢٣] إعمالاً لقول رسول الله (ﷺ) « لا تهلك أمتى حتى يكون بينهم التمايل والتمايز»[٢٤]. وعلى أية حال، فالخلافات بين المسلمين قائمة، وهى خلافات فى طريقة العرض والتناول أكثر منها تعددًا وتباينًا فى جوهر النص، فجميعها مرجعيتها القرآن والسنة، وإن اختلفت طرق الاستشهاد.

ب- إذا كانت النظرة الأولى تعكس وجود تنوع وتباين فى الخطاب الدينى الإسلامى؛

فإن النظرة المتأملة والمتأنية لقراءة النصوص الدينية الإسلامية ستجد أنها محكومة إحكامًا بآليات جامدة لا يخرج عنها النص، وإن كان كل خطاب له آلياته الخاصة التى تميزه عن غيره، هذه الآليات المحركة والداعمة للنص إما أن تكون آلية النقد، أو النصح والإرشاد، أو الاستشهاد بالنصوص الدينية، أو التخويف والترهيب... إلخ، بحيث لا نجد نصًّا واحدًا من النصوص التى عرضنا لها؛ إلا وكان مستخدمًا لواحدة أو أكثر من هذه الآليات. ولا تعد هذه مزية من وجهة نظرنا، بل إنها قولبة للفكر ووضعه فى أنماط جامدة لا يستطيع صاحبها الخروج عنها. ونحن فى حاجة فى هذا الزمان لآليات فكرية أكثر مرونة وتحررًا وانفتاحًا على العالم وعلى الخبرة.

جـ- يكاد يعكس الخطاب فى كل مستوياته حضورًا للآخر الغربى، إما من خلال نقده؛ حيث إنه السبب الحقيقى فيما وصل إليه الشباب فى هذه الأيام، أو من خلال كراهيته؛ فهو الذى فرق شمل العرب واحتل أراضيهم، أو من خلال النظرة إليهم باعتبارهم أكثر تفوقًا وتقدمًا، وحث المسلمين على اللحاق بركبهم، وفى كل الأحوال فالغرب حاضر وموجود فى وعى الكُتاب المسلمين سواء أرادوا هذا أم لا.

د- إذا كان الآخر حاضرًا فى الخطاب الدينى فهناك حضور أكثر للذات. هذه الذات المتأملة لأحوال المسلمين والعالم، وهذه الذات الناصحة، والعارفة ببواطن الأمور وما يجهله العامة وتختص به الذات. فتأتى الذات هنا فى النص واضحة وبارزة لتُشكل الخطاب تشكيلاً. وربما كان حضور الذات فى النص واحدًا من العوامل الرئيسية للتنوع والتعدد والاختلاف الذى أشرنا إليه. فذواتهم هى التى تطل على النص وتصوغه صياغة تتفق معها وتختلف فى العادة مع الآخرين.

هـ- لم تمثل أحداث الحادى عشر من سبتمبر تغيرًا فى الخطاب الدينى الإسلامى، بل كانت أحد موضوعاته؛ نظرًا إلى تأثير هذا الحدث على نظرة العالم للمسلمين وما يترتب على هذه النظرة من نتائج وآثار، مازلنا نشعر بوطأتها حتى الوقت الراهن. وربما جاء تعرض الخطاب الدينى لهذا الموضوع من خلال حضور الغرب فى النص الإسلامى.

و- هناك العديد من الموضوعات المسكوت عنها فى الخطاب الإسلامى، منها على سبيل المثال: قضايا الفساد بأشكالها المختلفة، وقضايا الاستبداد والقهر السياسى والاجتماعى... وغيرها الكثير من القضايا؛ وربما يرجع ذلك إلى أن مثل هذه القضايا قد تمس السلطة من قريب

أو من بعيد، أو أن ثمة تعايشًا بين نظم الخطاب والحياة الاجتماعية التى يعيش بداخلها منتجو الخطاب.

٢- الخطاب المسيحى:

أ- تتنوع الموضوعات التى يعرض لها الخطاب المسيحى؛ فمن موضوعات دينية خالصة، إلى مناقشة موضوعات وقضايا الساعة فى ضوء الاهتمام بالقضايا الداخلية، وخاصة قضايا الاغتراب والانحراف والانتماء، إلى مناقشة القضايا الخاصة بالأقباط وبالمجتمع المصرى. ويكشف تناول الموضوعات المختلفة عن مسار محدد للخطاب ينبنى على رؤية للكون تندرج مما هو مسيحى إلى ما هو أكبر من ذلك، ومما هو خاص إلى ما هو عام. ويبدو الخطاب هنا وكأنه خطاب محدد الخطى لا يترك لنفسه الدخول فى آفاق تبعده عن غايته المحددة، فعندما يكون داخل الكنيسة يهتم بأمور الروح ويعمل على بث طاقات روحية من خلال تحليلات أو تأويلات نصية، ويتأمل العالم والحياة عبر النص، وعبر رؤية محددة لكل أمور الدنيا. وعندما يخرج الخطاب الكنسى عن هذه الروحانية إلى خطاب موجه؛ فإنه يفسح مجالاً للدخول إلى دائرة العالم الواسعة، ولكن تبقى عينه على النشء القبطى منشغلاً بقضايا يمكن أن تؤثر على هذا النشء. ويعمل الخطاب هنا على توجيه النشء نحو غاية محددة: الإيمان كما يتجسد فى خلق توازن نسقى فى منظومة العالم (النفس - المجتمع - الله - الإنسانية). وعندما يتنوع الخطاب للدخول إلى عالم السياسة، نجد أن لهذا النوع من الخطاب رجاله الذين لا ينتمون إلى الكنيسة، هم رجال علمانيون يعملون خارج النص الكنسى؛ ولكنهم يلتزمون بنفس رؤية العالم؛ إذ يضع الخطاب القبطى السياسى مشكلات الجماعة الدينية فى مقدمة الحديث والاهتمامات.

ب- وقد يتفرع عن هذه النتيجة نتيجة أخرى تتعلق بطبيعة الأركيولوچية المعرفية التى يتأسس عليها هذا الخطاب. ويبدو أن هذه الأركيولوچية تقوم على رؤية للذات ورؤية للآخر، بحيث تتدرج المعرفة من الذات إلى الآخر عبر سلسلة متصلة تنتهى عند الله. ولكن هذه السلسلة ليست متصلة الحلقات فى كل الأحوال:

- فعندما نكون داخل النص الكنسى؛ فإنها تكون متصلة الحلقات منسجمة إلى أبعد حد، حيث يصور العالم بشكل مثالى على أنه امتداد للذات عبر المجتمع والإنسانية والله.
- ولكن هذه السلسلة تنكسر عندما نخرج خارج أسوار الكنيسة لتبدو الحلقات وكأنها غير

متشابكة، حيث تصور العلاقة بالآخر (وخاصة الآخر الداخلي) على أن بها بعض مشكلات تنتج عن صور من الظلم أو الابتعاد أو التجاوز أو التحيز التى تتعرض لها «الأنا».

جـ- يظهر الخطاب القبطى نوعًا من الأبوية، وتأتى هذه الأبوية واضحة عند تحليل الخطاب الكنسى (خطاب البابا – وخطاب أسقف الشباب). ولهذه الأبوية ما يبررها حيث إنها تأتى من خلال الوضع الكهنوتى لأصحابها باعتبارهم من جماعة المؤمنين الذين اختارتهم الكنيسة ورسمتهم للتحدث عنها بموافقة الشعب القبطى كله. وتتجلى الأبوية داخل الخطاب الكنسى فى عدد من المظاهر:

- صيغة النصح والإرشاد التى تبدو ظاهرة فى ثنايا النصوص، والتى تدفع المتلقين إلى نوع معين من السلوك المفضل.
- صيغة الأمر التى تظهر بين الحين والآخر فى خطاب البابا.
- عدم الاتكاء على الأخطاء أو السلبيات.
- الرفق فى الحديث والدعوة إلى التأمل والمعرفة.

د- وعندما يخرج النص عن دائرة الكنيسة يتحول من الأبوية إلى الوصاية، حيث يظهر النص وكأنه يحرس قضايا الأقباط ومشكلاتهم ويدافع عنها، بحكم سيطرته على منبر يمكن أن يذيع منه أفكاره وخاصة المنبر الصحفى. ويتفرع عن هذه النتيجة العامة نتيجتان فرعيتان:

(أ) أن النخبة السياسية القبطية، وكذا النخبة الفكرية، تتوحد مع الثقافة القبطية، ويتحول هذا التوجه إلى تصورات للنخبة على أنها راعية لهذه الثقافة مدافعة عنها. ويتفق ذلك مع تصورات وسلوك النخب السياسية والفكرية فى العالم الثالث، التى يحدث لديها هذا التوحد مع ثقافة الوطن، فتظن أنها الوحيدة القادرة على إنقاذه والدفاع عن مصالحه.

(ب) أن الوصاية الفكرية والسياسية هنا هى امتداد للروح الأبوية والرعوية التى أشرنا إليها؛ حيث تتحول الروح الأبوية التى يعبر عنها خطاب الكنيسة المباشر إلى «روح وحياة» عندما تندمج مع الإشكاليات المهنية والفكرية والسياسية.

الملاحق

ثبت بالمصادر التى تم الاعتماد
عليها فى تحليل الخطاب الدينى فى مصر

الملحق رقم (١)
المقالات التى تم تحليلها من مجلة الأزهر

(١) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « فى رحاب العيد »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٢٠هـ، يناير ٢٠٠٠م، ج١٠، السنة ٧٢.

(٢) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « نفحات إلهية فى عرفات »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو الحجة ١٤٢٠هـ، مارس ٢٠٠٠م، ج١٢، السنة ٧٢ .

(٣) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « ذكر الله للمحبين نور، وللمشتاقين سرور»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٢١هـ، مايو ٢٠٠٠م، ج٢، السنة ٧٣.

(٤) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « قيمة الوقت عند المؤمن »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الآخر ١٤٢١هـ، يوليو ٢٠٠٠م، ج٤، السنة ٧٣.

(٥) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « باب التوبة مفتوح مادام فى الجسد روح »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخر ١٤٢١هـ، سبتمبر ٢٠٠٠م، ج٦ السنة ٧٣.

(٦) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « شعبان شهر الرحمة والمغفرة »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شعبان ١٤٢١هـ، نوفمبر ٢٠٠٠م، ج٢، السنة ٧٣.

(٧) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « فى رحاب الحج »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٢١هـ، يناير ٢٠٠١م، ج١٠، السنة ٧٣.

(٨) محمد رجب البيومى، رسالة مجلة الأزهر بأقلام أساتذتها الكبار، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو القعدة ١٤٢١هـ، فبراير ٢٠٠١م، ج١١، السنة ٧٣.

(٩) محمد رجب البيومى، « الحج مَجْمَع علمى »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو الحجة ١٤٢١هـ، مارس ٢٠٠١م، ج١٢، السنة ٧٣.

obeikan.com

(١٠) محمد رجب البيومى، «المثقفون والأدب الهابط» مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٢٢هـ، أبريل ٢٠٠١م، ج١، السنة ٧٤.

(١١) محمد رجب البيومى، «الدين مرتكز الْخُلُق الحميد» مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٢٢هـ، مايو ٢٠٠١م، ج٢، السنة ٧٤.

(١٢) محمد رجب البيومى، «فى ذكرى المولد النبوى (تحليل أدبى لبعض مواقف النبى الكريم ﷺ)، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤٢٢هـ، يونيه ٢٠٠١م، ج٣، السنة ٧٤.

(١٣) محمد رجب البيومى، «العدل ظاهرة كونية، قبل أن يكون فضيلة خُلُقية»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، يوليو ٢٠٠١م، ج٤، السنة ٧٤.

(١٤) محمد رجب البيومى، «لغو عن ميراث المرأة»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، أغسطس ٢٠٠١م، ج٥، السنة ٧٤.

(١٥) محمد رجب البيومى، «إنسانية الغرب فى الميزان»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، سبتمبر ٢٠٠١م، ج٦، السنة ٧٤.

(١٦) محمد رجب البيومى، «ثقافة الداعية المعاصر»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٢٢هـ، أكتوبر ٢٠٠١م، ج٧، السنة ٧٤.

(١٧) محمد رجب البيومى، «لابد للعلم من خُلُقٍ عاصم» مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شعبان ١٤٢٢هـ، نوفمبر ٢٠٠١م، ج٨، السنة ٧٤.

(١٨) محمد رجب البيومى، «عيد الفطر فى موكب التاريخ»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٢٢هـ، يناير ٢٠٠٢م، ج١٠، السنة ٧٤.

(١٩) محمد رجب البيومى، «الحج.. قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو الحجة ١٤٢٢هـ، مارس ٢٠٠٢م، ج١٢، السنة ٧٤.

(٢٠) محمد رجب البيومى، «قدِّموا النص القرآنى»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٢٣هـ، مايو ٢٠٠٢م، ج٢، السنة ٧٥.

(٢١) محمد رجب البيومى، «النص القرآنى هو الفيصل»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٢هـ، يوليو ٢٠٠٢م، ج٤، السنة ٧٥.

(٢٢) محمد رجب البيومى، « مصر عرفت التوحيد من قبل إخناتون »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخر ١٤٢٣هـ، أغسطس/ سبتمبر ٢٠٠٢م، ج٦، السنة ٧٥.

(٢٣) محمد رجب البيومى، « الصوم فى مرآة الغزالى »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان ١٤٢٣هـ، نوفمبر ٢٠٠٢م، ج٩، السنة ٧٥.

(٢٤) محمد رجب البيومى، « الحج ارتقاء خُلُقِى، وطهارة نفسية »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو القعدة ١٤٢٣هـ، يناير ٢٠٠٣م، ج١١، السنة ٧٥.

(٢٥) محمد رجب البيومى، « بعد خمسة وسبعين عامًا »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٢٤هـ، مارس ٢٠٠٣م، ج١، السنة ٧٦.

(٢٦) محمد رجب البيومى، « فى ذكرى المولد النبوى أمام غار حراء » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤٢٤هـ، مايو ٢٠٠٣م، ج٣، السنة ٧٦.

(٢٧) محمد رجب البيومى، « أحاديث المجالس بين الجد والثرثرة » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، يوليو ٢٠٠٣م، ج٥، السنة ٧٦.

(٢٨) محمد رجب البيومى، « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٢٤هـ، سبتمبر ٢٠٠٣م، ج٧، السنة ٧٦.

(٢٩) محمد رجب البيومى، « كيف يستقبلون رمضان » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان ١٤٢٤هـ، نوفمبر ٢٠٠٣م، ج٩، السنة ٧٦.

(٣٠) محمد رجب البيومى، « الطريق إلى مكة » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٢٥هـ، مارس ٢٠٠٤م، ج١، السنة ٧٦.

(٣١) محمد رجب البيومى، « فى ذكرى المولد النبوى.. الأسلوب القرآنى غير الأسلوب النبوى »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤٢٥هـ، مايو ٢٠٠٤م، ج٣، السنة ٧٦.

(٣٢) محمد رجب البيومى، « انحدار المستوى العلمى فى الجامعات المصرية »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٥هـ، يوليو ٢٠٠٤م، ج٨، السنة ٧٧.

(٣٣) محمد رجب البيومى، « من أخلاق الإسلام الصراحة دون مواراة »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٢٥هـ، سبتمبر ٢٠٠٤م، ج٧، السنة ٧٧.

الملحق رقم (٢)

المقالات التى تم تحليلها لفهمى هويدى من جريدة الأهرام

(١) فهمى هويدى، «قرن تغريب الأمة»!!، جريدة الأهرام، القاهرة، ٤ يناير ٢٠٠٠م، ٢٧ رمضان ١٤٢٠هـ، ع٤١٣٠١، السنة ١٢٤.

(٢) فهمى هويدى، «من إيران إلى من يهمه الأمر»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٩ فبراير ٢٠٠٠م، ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٠هـ، ع٤١٣٥٧، السنة ١٢٤.

(٣) فهمى هويدى، «اعتذار لسنا طرفًا فيه»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ مارس ٢٠٠٠م، ١٥ ذى الحجة ١٤٢٠هـ، ع٤١٣٧٨، السنة ١٢٤.

(٤) فهمى هويدى، «حيرة باكستان، وطريقها المسدود»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ أبريل ٢٠٠٠م، ١٣ محرم ١٤٢١هـ، ع٤١٤٠٦، السنة ١٢٤.

(٥) فهمى هويدى، «الاستنارة المظلمة»!، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٣ مايو ٢٠٠٠م، ١٩ صفر ١٤٢١هـ، ع٤١٤٤١، السنة ١٢٤.

(٦) فهمى هويدى، «مسلمو روسيا: مواطنون وغرباء!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ يونيو ٢٠٠٠م، ١٧ ربيع الأول ١٤٢١هـ، ع٤١٤٦٩، السنة ١٢٤.

(٧) فهمى هويدى، «موسم بيع القضية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ يوليو ٢٠٠٠ م، ١٦ ربيع الآخر ١٤٢١هـ، ع٤١٤٩٧، السنة ١٢٤.

(٨) فهمى هويدى، «حديث عن المكسيك»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ أغسطس ٢٠٠٠م، ١٥ جمادى الأولى ١٤٢١هـ، ع٤١٥٢٥، السنة ١٢٤.

(٩) فهمى هويدى، «دفاع عن بعض الكبرياء»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ سبتمبر ٢٠٠٠م، ٢١ جمادى الأخرى ١٤٢١هـ، ع٤١٥٦٠، السنة ١٢٤.

(١٠) فهمى هويدى، «سقوط أساطير الصراع»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ أكتوبر ٢٠٠٠م، ١٩ رجب ١٤٢١هـ، ع٤١٥٨٨، السنة ١٢٤.

(١١) فهمى هويدى، «هل نعلن موت السياسة؟»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ نوفمبر ٢٠٠٠م، ٢٥ شعبان ١٤٢١هـ، ع٤١٦٢٣، السنة ١٢٥.

(١٢) فهمى هويدى، «لنرفع رايات الغضب فوق أعيادنا»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ ديسمبر ٢٠٠٠م، ٢٣ رمضان ١٤٢١هـ، ع٤١٦٥١، السنة ١٢٥.

(١٣) فهمى هويدى، «لا يجتمع وطنان فى قلب واحد»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ يناير ٢٠٠١م، ٢١ شوال ١٤٢١هـ، ع٤١٦٧٩، السنة ١٢٥.

(١٤) فهمى هويدى، «فتاوى أوروبية ليست للتصدير»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ فبراير ٢٠٠١م، ٢٦ ذو القعدة ١٤٢١هـ، ع٤١٧١٤، السنة ١٢٥.

(١٥) فهمى هويدى، «عبرة الرحلة إلى قندهار»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ مارس ٢٠٠١م، ٢٥ ذى الحجة ١٤٢١هـ، ع٤١٧٤٢، السنة ١٢٥.

(١٦) فهمى هويدى، دفاع عن الذاكرة والانتفاضة، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ أبريل ٢٠٠١م، ٢٣ محرم ١٤٢٢هـ، ع٤١٧٧٠، السنة ١٢٥.

(١٧) فهمى هويدى، «كراهية إسرائيل معيار للوطنية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ مايو ٢٠٠١م، ٢١ صفر ١٤٢٢هـ، ع٤١٧٩٨، السنة ١٢٥.

(١٨) فهمى هويدى، «مأزق عرفات أم شارون؟»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ يونيو ٢٠٠١م، ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، ع٤١٨٣٣، السنة ١٢٥.

(١٩) فهمى هويدى، «من سجل الفتور والغياب»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ يوليو ٢٠٠١م، ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٨٦١، السنة ١٢٥.

(٢٠) فهمى هويدى، «السيناريو الأسوأ فلسطينيًّا»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ أغسطس ٢٠٠١م، ٢ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٨٩٦، السنة ١٢٦.

(٢١) فهمى هويدى، «حين يصبح الخيار الركوع أو الموت»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٤ سبتمبر ٢٠٠١م، ١٦ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٩١٠، السنة ١٢٦.

(٢٢) فهمى هويدى، «فى لزوم الاستنكار»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢٣ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٩١٧، السنة ١٢٦.

(٢٣) فهمى هويدى، «مشاهد مسكونة بالعبث»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ سبتمبر ٢٠٠١م، ١ رجب ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٢٤، السنة ١٢٦.

(٢٤) فهمى هويدى، «الأمريكيُّون دفعوا ثمن انحيازهم مرتين»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠١م، ٨ رجب ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٣١، السنة ١٢٦.

(٢٥) فهمى هويدى، «خطاب جبر الخواطر»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ أكتوبر ٢٠٠١م، ٢٩ رجب ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٥٢، السنة ١٢٦.

(٢٦) فهمى هويدى، «شبح الفوضى يهدد أفغانستان»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠١م، ٥ رمضان ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٨٧، السنة ١٢٦.

(٢٧) فهمى هويدى، «إنهم يريدونه إسلامًا معدَّلاً»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ ديسمبر ٢٠٠١م، ٣ شوال ١٤٢٢هـ، ع٤٢٠١٥، السنة ١٢٦.

(٢٨) فهمى هويدى، «المأزق الحضارى فى أفغانستان»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ يناير ٢٠٠٢م، ١ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ع٤٢٠٤٣، السنة ١٢٦.

(٢٩) فهمى هويدى، «مجددًا: إلى متى نظل بلا ألسنة؟!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ فبراير ٢٠٠٢م، ٧ ذى الحجة ١٤٢٢هـ، ع٤٢٠٧٨، السنة ١٢٦.

(٣٠) فهمى هويدى، «لنحذر من محاولات التخدير»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ مارس ٢٠٠٢م، ٥ محرم ١٤٢٣هـ، ع٤٢١٠٦، السنة ١٢٦.

(٣١) فهمى هويدى، «العمليات الاستشهادية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ أبريل ٢٠٠٢م، ٣ صفر ١٤٢٣هـ، ع٤٢١٣٤، السنة ١٢٦.

(٣٢) فهمى هويدى، «الاحتلال أعلى درجات العنف»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ مايو ٢٠٠٢م، ٩ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، ع٤٢١٦٩، السنة ١٢٦.

(٣٣) فهمى هويدى، «فضيحة للإعلام الأمريكى»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٥ يونيو ٢٠٠٢م، ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٠٤، السنة ١٢٦.

(٣٤) فهمى هويدى، «مخطط استئصال الوجود الفلسطينى»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ يوليو ٢٠٠٢م، ٦ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٢٥، السنة ١٢٦.

(٣٥) فهمى هويدى، «انقلاب فى مفهوم القضية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ أغسطس ٢٠٠٢م، ١١ جمادى الآخر ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٦٠، السنة ١٢٦.

(٣٦) فهمى هويدى، «عن استراتيجية التعذيب والتذويب»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ سبتمبر ٢٠٠٢م، ١٠ رجب ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٨٨، السنة ١٢٦.

(٣٧) فهمى هويدى، «النموذج الأفغانى المرشح للتعميم»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٢م، ٩ شعبان ١٤٢٣هـ، ع٤٢٣١٦، السنة ١٢٦.

(٣٨) فهمى هويدى، «الغزو الذى بدأ»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٢م، ١٤ رمضان ١٤٢٣هـ، ع٤٢٣٥١، السنة ١٢٦.

(٣٩) فهمى هويدى، «العلمانية غير الذكية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢م، ١٣ شوال ١٤٢٣هـ، ع٤٢٣٧٩، السنة ١٢٦.

(٤٠) فهمى هويدى، «تغيير المقررات أم السياسات»؟، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٤ يناير ٢٠٠٣م، ١١ ذى القعدة ١٤٢٣هـ، ع٤٢٤٠٧، السنة ١٢٦.

(٤١) فهمى هويدى، «مفارقات المشهد، وأسئلته المدبَّبة!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ فبراير ٢٠٠٣م، ١٧ ذى الحجة ١٤٢٣هـ، ع٤٢٤٤٢، السنة ١٢٦.

(٤٢) فهمى هويدى، «مأزق إيران (٢)»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ مارس ٢٠٠٣م، ١٥ محرم ١٤٢٤هـ، ع٤٢٤٧١، السنة ١٢٧.

(٤٣) فهمى هويدى، «مخططات ما بعد السقوط»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ أبريل ٢٠٠٣م، ١٣ صفر ١٤٢٤هـ، ع٤٢٤٩٨، السنة ١٢٧.

(٤٤) فهمى هويدى، «القراءة الإسرائيلية لما جرى»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ مايو ٢٠٠٣م، ١٩ ربيع الأول ١٤٢٤هـ، ع٤٢٥٣٣، السنة ١٢٧.

(٤٥) فهمى هويدى، «صَهْيَنَةُ الكلامِ!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ يونيو ٢٠٠٣م، ١٧ ربيع الثانى ١٤٢٤هـ، ع٤٢٥٦١، س١٢٧.

(٤٦) فهمى هويدى، «قهرُ ثقافىٌّ باسم الاندماج»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ يوليو ٢٠٠٣م، ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، ع٤٢٥٨٩، السنة ١٢٧.

(٤٧) فهمى هويدى، «يسألونك عن الجدار»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ أغسطس ٢٠٠٣م، ٢١ جمادى الآخر ١٤٢٤هـ، ع٤٢٦٢٤، السنة ١٢٧.

(٤٨) فهمى هويدى، «أفغانستان بديلاً عن العراق.. مؤقتًا»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ سبتمبر ٢٠٠٣م، ١٩ رجب ١٤٢٤هـ، ع٤٢٦٥٢، السنة ١٢٧.

(٤٩) فهمى هويدى، «فى الاختراق وسنينه!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ أكتوبر ٢٠٠٣م، ٢٥ شعبان ١٤٢٤هـ، ع٤٢٦٨٧، السنة ١٢٧.

(٥٠) فهمى هويدى، «تجلِّيات الانكسار والتراجع»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣م، ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ، ع٤٢٧١٥، السنة ١٢٧.

(٥١) فهمى هويدى، «العراك فى العراق (٣).. الأكاذيب والأساطير»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٣م، ٢٢ شوال ١٤٢٤هـ، ع٤٢٧٤٣، السنة ١٢٧.

الملحق رقم (٣)

حلقات عمرو خالد من خلال الإنترنت

ـ برنامج «حتى يغيروا ما بأنفسهم» (٢٠٠٣م)، الحلقات هى:

(١) حُسْنُ الخُلُقِ.

(٢) الدين النصيحة.

(٣) حَلَقَةٌ خَـاصَّةٌ عَنْ الشَّهِيد طَارِق.

(٤) كَيْفَ نَثْبُتْ.

(٥) الثبات على الحق.

(٦) الفخر بالشهادة.

(٧) قيمة الوقت.

(٨) التوبة.

(٩) عِزَّةُ المسلمينَ.

(١٠) الإحسانَ.

(١١) الأُخُوَّةُ و سَلامَةُ الصَّدْرِ.

(١٢) الجدِّيةُ.

(١٣) الإيجابيَّةُ.

(١٤) التضرُّع.

ـ برنامج «صناع الحياة» (٢٠٠٤)، الحلقات هى:

(١) ثمار صُنَّاع الحياة «١».

(٢) ثمار صُنَّاع الحياة «٢».

(٣) مجال التكنولوچية.

(٤) الثقافة والفنون والإعلام.. وصناعة الحياة.

(٥) نقاط هامة فى مسيرة صُنَّاع الحياة.

(٦) حُلْمى التكنولوچية والصناعة.

obeikan.com

(٧) رفع الظلم عن المرأة.

(٨) أهمية التصويت على الأحلام.

(٩) حُلْمى التعليم وعلاقات البلاد.

(١٠) حُلْمى الزراعة والبحث العلمى.

(١١) احْلَم لبلدك «١».

(١٢) احْلَم لبلدك «٢».

(١٣) الإرادةُ.

(١٤) مقدمة المرحلة الثانية.

(١٥) حفل ختام المرحلة الأولى.

(١٦) استخدام العقل.

(١٧) أهمية الوقت.

(١٨) حدد هدفك فى الحياة.

(١٩) المحافظة على مواردنا «١».

(٢٠) المحافظة على مواردنا «٢».

(٢١) لا للمخدرات.

(٢٢) لا للقات والخمور.

(٢٣) محاربة التدخين.

(٢٤) الجدية.

(٢٥) الإتقان «١».

(٢٦) الإتقان «٢».

(٢٧) تحديات الإيجابية.

(٢٨) الإيجابية.

(٢٩) مقدمة مشروع صُنَّاع الحياة «١».

(٣٠) مقدمة مشروع صناع الحياة «٢».

(٣١) مقدمة مشروع صناع الحياة «٣».

obeikan.com

الملحق رقم (٤)

مقالات البابا شنوده الثالث من مجلة الكرازة المرقسية

(١) البابا شنوده الثالث، « إذا قدمت قربانك، وهناك تذكرت »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٧ يناير ٢٠٠٠م، العددان ١ ، ٢.

(٢) البابا شنوده الثالث، « اسألوا تُعطوْا اطلُبوا تَجدوا »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢١ يناير ٢٠٠٠م، العددان ٥ ، ٦.

(٣) البابا شنوده الثالث، « سراج الجسد هو العين »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢٥ فبراير ٢٠٠٠م، العددان ٩ ، ١٠.

(٤) البابا شنوده الثالث، « من ثِمارهم تعرفونهم »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢١ أبريل ٢٠٠٠م، العددان ١١ ، ١٢.

(٥) البابا شنوده الثالث، « إقامة الأحباء الموتى »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٢ مايو ٢٠٠٠م، العددان ١٧ ، ١٨.

(٦) البابا شنوده الثالث، « أحب خاصَّته الذين فى العالم.. أحبهم حتى المنتهى »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢ يونيو ٢٠٠٠م، العددان ١٩ ، ٢٠.

(٧) البابا شنوده الثالث، « التكامل فى حياة الفضيلة »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٣٠ يونيو ٢٠٠٠م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٨) البابا شنوده الثالث، « وأكون أنا فيهم »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢٨ يوليو ٢٠٠٠م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٩) البابا شنوده الثالث، « ما هى مسئوليتك »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م، العددان ٣١ ، ٣٢.

(١٠) البابا شنوده الثالث، « شبه الشر.. امتنعوا عن كل شبه شر»، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٠ أكتوبر ٢٠٠٠م، العددان ٣٥ ، ٣٦.

(١١) البابا شنوده الثالث، « أخطاء الكلام »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٠ نوفمبر ٢٠٠٠م، العددان ٣٩ ، ٤٠.

(١٢) البابا شنوده الثالث، « إبراهيم أبو الآباء والأنبياء »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٠م، العددان ٤٥ ، ٤٦.

(١٣) البابا شنوده الثالث، « إبراهيم أبو الآباء والأنبياء »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٥ يناير ٢٠٠١م، العددان ١ ، ٢.

opelkan.com

(١٤) البابا شنوده الثالث، « إبراهيم ولوط (الفرق بينهما) »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٩ فبراير ٢٠٠١م، العددان ٥ ، ٦.

(١٥) البابا شنوده الثالث، « العهدين الله والناس »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٩ مارس ٢٠٠١م، العددان ٩ ، ١٠.

(١٦) البابا شنوده الثالث، « اللهم التفت إلى معونتى »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٦ أبريل ٢٠٠١م، العددان ١٣ ، ١٤.

(١٧) البابا شنوده الثالث، « قوة الخدمة »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٢٥ مايو ٢٠٠١م، العددان ١٧ ، ١٨.

(١٨) البابا شنوده الثالث، « القلق أسبابه وعلاجه »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٢٩ يونيو ٢٠٠١م، العددان ٢١ ، ٢٢.

(١٩) البابا شنوده الثالث، « صيادوا الناس »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٢٠ يوليو ٢٠٠١م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٢٠) البابا شنوده الثالث، « أمثلة من شباب ناجح »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٣ أغسطس ٢٠٠١م، العددان ٢٥ ، ٢٦.

(٢١) البابا شنوده الثالث، « أهمية العمل ولزومه: الله يصل »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ١٧ أغسطس ٢٠٠١م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٢٢) البابا شنوده الثالث، « تكنيك نعمتى »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ١٢ أكتوبر ٢٠٠١م، العددان ٣٣ ، ٣٤.

(٢٣) البابا شنوده الثالث، « مبادئ فى الخدمة »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٩ نوفمبر ٢٠٠١م، العددان ٣٧ ، ٣٨.

(٢٤) البابا شنوده الثالث، « الطمع »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٧ ديسمبر ٢٠٠١م، العددان ٤١ ، ٤٢.

(٢٥) البابا شنوده الثالث، « كيف أعد الله قصة التجسد والميلاد؟ »، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٤ يناير ٢٠٠٢م، العددان ١ ، ٢.

(٢٦) البابا شنوده الثالث، « شخصيات فى قصة الميلاد »، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١ فبراير ٢٠٠٢م، العددان ٥ ، ٦.

(٢٧) البابا شنوده الثالث، « تفسكك »، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١ مارس ٢٠٠٢م، العددان ٩ ، ١٠.

(٢٨) البابا شنوده الثالث، «شركة الروح القدُس والنعمة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١٢ أبريل ٢٠٠٢م، العددان ١٥ ، ١٦.

(٢٩) البابا شنوده الثالث، «السيد المسيح فى إعداد تلاميذه لتجربة صَلبة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١٠ مايو ٢٠٠٢م، العددان ١٩ ، ٢٠.

(٣٠) البابا شنوده الثالث، «أقع فى يد اللّٰه ولا أقع فى يد إنسان»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٢١ يونيه ٢٠٠٢م، العددان ٢٥ ، ٢٦.

(٣١) البابا شنوده الثالث، «الخطيَّة الثابتة المولودة من خطيَّة سابقة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٥ يوليو ٢٠٠٢م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٣٢) البابا شنوده الثالث، «الفراغ وأنواعه»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٢ أغسطس ٢٠٠٢م، العددان ٣١ ، ٣٢.

(٣٣) البابا شنوده الثالث، «البر الذاتى وتبرير الذات»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١٦ أغسطس ٢٠٠٢م، العددان ٣٣ ، ٣٤.

(٣٤) البابا شنوده الثالث، «السنوات الأخيرة لداود الملك»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١١ أكتوبر ٢٠٠٢م، العددان ٣٧ ، ٣٨.

(٣٥) البابا شنوده الثالث، «التجارب والخبرات الرُّوحيَّة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٨ نوفمبر ٢٠٠٢م، العددان ٤١ ، ٤٢.

(٣٦) البابا شنوده الثالث، «شجعوا صغار النفوس»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٢م، العددان ٤٣ ، ٤٤.

(٣٧) البابا شنوده الثالث، «الكمال والممكن»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١ أغسطس ٢٠٠٣م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٣٨) البابا شنوده الثالث، «محاسبة اُلنـَّفس»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١٥ أغسطس ٢٠٠٣م، العددان ٢٥ ، ٢٦.

(٣٩) البابا شنوده الثالث، «نظرة تـُفاؤل»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١٢ سبتمبر ٢٠٠٣م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٤٠) البابا شنوده الثالث، «الاستحقاقُ»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣م، العددان ٢٩ ، ٣٠.

(٤١) البابا شنوده الثالث، «إرشدنا إلى العمل بوصاياك»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١٠ أكتوبر ٢٠٠٣م، العددان ٣١ ، ٣٢.

obeikan.com

(٤٢) البابا شنوده الثالث، «الفتور الروحىّ»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٧ نوفمبر ٢٠٠٣م، العددان ٣٥ ، ٣٦.

(٤٣) البابا شنوده الثالث، «الحركة»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٢١ نوفمبر ٢٠٠٣م، العددان ٣٧ ، ٣٨.

(٤٤) البابا شنوده الثالث، «من الأعواز»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٥ ديسمبر ٢٠٠٣م، العددان ٣٩ ، ٤٠.

(٤٥) البابا شنوده الثالث، «اللّه هو البادئ»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ١٦ يناير ٢٠٠٤م، العددان ١ ، ٢.

(٤٦) البابا شنوده الثالث، «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٣٠ يناير ٢٠٠٤م، العددان ٣ ، ٤.

(٤٧) البابا شنوده الثالث، «إلى متى يا رب تنسانى؟»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٥ مارس ٢٠٠٤م، العددان ٧ ، ٨.

(٤٨) البابا شنوده الثالث، «تأملات فى قصة السامرية»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ١٩ مارس ٢٠٠٤م، العددان ٩ ، ١٠.

(٤٩) البابا شنوده الثالث، «الإنسان الميت روحيًّا»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٧ مايو ٢٠٠٤م، العددان ١٥ ، ١٦.

(٥٠) البابا شنوده الثالث، «الرب يحفظك.. الرب يحفظ دخولك وخروجك»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٢١ مايو ٢٠٠٤م، العددان ١٧ ، ١٨.

(٥١) البابا شنوده الثالث، «فتح ذهنهم ليفهموا ويستنيروا»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٢٣ يوليو ٢٠٠٤م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٥٢) البابا شنوده الثالث، «صلاة التحليل»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٨ أكتوبر ٢٠٠٤م، العددان ٢٩ ، ٣٠.

(٥٣) البابا شنوده الثالث، «تأمل فى: الأعداء الخفيين والظاهرين»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م، العددان ٣١ ، ٣٢.

(٥٤) البابا شنوده الثالث، «اكنزوا لكم كنوزًا فى السماء»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م، العددان ٣٩ ، ٤٠.

(٥٥) البابا شنوده الثالث، «ربنا موجود»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤م، العددان ٤١ ، ٤٢.

obeikan.com

الملحق رقم (٥)

المقالات التى تم تحليلها ليوسف سيدهم من جريدة وطنى

(١) يوسف سيدهم، « من دفتر أحوال الانتخابات (٥) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م، ٢٣ شعبان ١٤٢١هـ، ع٢٠٣٠، السنة ٤٢.

(٢) يوسف سيدهم، « وطنى تسترد شرعيتها »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠م، ٢١ رمضان ١٤٢١هـ، ع٢٠٣٤، السنة ٤٢.

(٣) يوسف سيدهم، « إحياء الساحل الشمالى.. حلم مازال ممكنًا (٣) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠م، ٢٦ جمادى الآخر ١٤٢١هـ، ع٢٠٢٢، السنة ٤٢.

(٤) يوسف سيدهم، « من دفتر أحوال الانتخابات (٣) » « برلمان الشباب يستهل أعماله »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٠م، ١٧ رجب ١٤٢١هـ، ع٢٠٢٥، السنة ٤٢.

(٥) يوسف سيدهم، « خفافيش الظلام لا تحجب شعاعًا مضيئًا »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢١ يناير ٢٠٠١م، ٢٦ شوال ١٤٢١هـ، إصدار أول (ع٢٠٣٩، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٥، السنة ١).

(٦) يوسف سيدهم، « وطنى » تصدر « ملحق المهجر»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ فبراير ٢٠٠١م، ذى القعدة ١٤٢١هـ، إصدار أول (ع٢٠٤٣، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٩، السنة ١).

(٧) يوسف سيدهم، المواطنة بين مناخ « المنع » و« المنح »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ مارس ٢٠٠٢م، ٢٣ ذى الحجة ١٤٢١هـ، إصدار أول (ع٢٠٤٧، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع١٣، السنة ١).

(٨) يوسف سيدهم، « القيامة.. المصالحة.. التغيير»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ أبريل ٢٠٠١م، ٢١ المحرم ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٥١، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع١٧، السنة ١).

(٩) يوسف سيدهم، « نحو إيقاظ الضمير الوطنى (٣) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ مايو ٢٠٠١م، ١٩ صفر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٥٥، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٢١، السنة ١).

(١٠) يوسف سيدهم، «فى جرجا - أين يَدفن الأقباط موتاهم؟!!»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ يونيو ٢٠٠١م، ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٦٠، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٢٦، السنة ١).

(١١) يوسف سيدهم، المؤازرة الوطنية المصرية تدمغ «فتح الملف القبطى»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ يوليو ٢٠٠١م، ٢٤ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٦٤، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٠، السنة ١).

(١٢) يوسف سيدهم، «نحو حتمية فتح الملف القبطى (٥)». «الفرز فى الوظائف.. وفى تنفيذ أحكام القضاء!!»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ أغسطس ٢٠٠١م، ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٦٩، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٥، السنة ١).

(١٣) يوسف سيدهم، «نحو حتمية فتح الملف القبطى (٧). رد من قسم جراحة المخ والأعصاب بطب الزقازيق»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢ سبتمبر ٢٠٠١م، ١٤ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧١، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٧، السنة ١).

(١٤) يوسف سيدهم، «نحو حتمية فتح الملف القبطى (٨). أخرجوا هذه الكنيسة من ثلاجة التجميد»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٩ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢١ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٢، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٨، السنة ١).

(١٥) يوسف سيدهم، «إرهاب الثلاثاء الحزين»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢٨ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٣، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٩، السنة ١).

(١٦) يوسف سيدهم، «ازدواج الجنسية».. حق أم إثم؟!!»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢٣ سبتمبر ٢٠٠١م، ٦ رجب ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٤، س٤٣)، إصدار ثان، (ع٤٠، السنة ١).

(١٧) يوسف سيدهم، «فحص دستورية القوانين.. بعد التطبيق أم قبل التطبيق؟»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١م، ١٣ رجب ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٥، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٤١، السنة ١).

(١٨) يوسف سيدهم، «لماذا تظاهر الطلبة المصريين؟»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ أكتوبر ٢٠٠١م، ٢٧ رجب ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٧، س٤٣)، إصدار ثان، (ع٤٣، السنة ١).

(١٩) يوسف سيدهم، « فلنفحص أنفسنا.. القانون لا يأتى أولاً فى منفلوط »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ نوفمبر ٢٠٠١م، ٣رمضان ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٨٢، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٤٨، السنة ١).

(٢٠) يوسف سيدهم، « فلنفحص أنفسنا.. ثلاثة يسبحون ضد التيار»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ ديسمبر ٢٠٠١م، ١ شوال ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٨٦، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٥٢، السنة ١).

(٢١) يوسف سيدهم، « بيان الحكومة بين الواقع والتمنى!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ يناير ٢٠٠٢م، ٢٩ شوال ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٩٠، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٥٦، السنة ٢).

(٢٢) يوسف سيدهم، « قرية « بنى واللمس » سيناريو متكرر لمسلسل بغيض!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ فبراير ٢٠٠٢م، ٥ ذى الحجة ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٩٥، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٦١، السنة ٢).

(٢٣) يوسف سيدهم، « ما أبلغ صوت الصمت »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ أبريل ٢٠٠٢م، ١ صفر ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٠٣، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٦٩، السنة ٢).

(٢٤) يوسف سيدهم، « المقاطعة بأسلوب « الدب الذى قتل صاحبه »!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ مايو ٢٠٠٢م، ٧ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٠٨، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٧٤، السنة ٢).

(٢٥) يوسف سيدهم، « بين يوليو ١٩٥٢ ويونيه ١٩٦٧، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ يونيه ٢٠٠٢م، ٥ ربيع الثانى ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١١٢، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٧٨، السنة ٢).

(٢٦) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٢).. مدافن جديدة خارج الإسكندرية... ولكن!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ يوليه ٢٠٠٢م، ٤ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١١٦، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٨٢، السنة ٢).

(٢٧) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٧).. الديموقراطية تكفل المشاركة وتداول السلطة، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ أغسطس ٢٠٠٢م، ٩ جمادى الآخر ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٢١، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٨٧، السنة ٢).

(٢٨) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (١٢).. « قنابل موقوتة » تمرح فى الشارع المصرى، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٢م، ١٥ رجب ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٢٦، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٩٢، السنة ٢).

(٢٩) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (١٥).. الشارع المصرى وثقافة « الأمان »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢م، ٧ شعبان ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٢٩، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٩٥، السنة ٢).

(٣٠) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٢٠).. هل تحترم الحكومة قراراتها وتلتزم بها؟!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ نوفمبر ٢٠٠٢م، ١٢ رمضان ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٣٤، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع١٠٠، السنة ٢).

(٣١) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٢٤).. « الدين لله... والوطن للجميع »!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ ديسمبر ٢٠٠٢م، ١١ شوال ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٣٨، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع١٠٤، السنة ٢).

(٣٢) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٢٧).. من يثور لكرامة القضاء ويدافع عن قدسيته؟ »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ يناير ٢٠٠٣م، ذو القعدة ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٤٣، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٠٩، السنة ٢).

(٣٣) يوسف سيدهم، « شبابنا... الأمل فى مستقبل أفضل »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ فبراير ٢٠٠٣م، ١٥ ذو الحجة ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٤٧، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١١٣، السنة ٢).

(٣٤) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٣٣).. إغلاق ملف الكشح يفتح ملف المساءلة »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ مارس ٢٠٠٣م، ١٣ محرم ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٥١، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١١٧، السنة ٢).

(٣٥) يوسف سيدهم، « مصلحة الضرائب تهدر فتوى مجلس الدولة!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ أبريل ٢٠٠٣م، ١٠ صفر ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٥٥، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٢١، السنة ٢).

(٣٦) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٣٩).. أبعاد الشخصية المصرية بين الماضى والحاضر»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ مايو ٢٠٠٣م، ربيع الأول ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٦٠، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٢٦، السنة ٢).

(٣٧) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٤٣).. مصر لكل المصريين »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ يونيه ٢٠٠٣م، ١٥ ربيع الثانى ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٦٤، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٣٠، السنة ٢).

(٣٨) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٤٧).. الانتماء للوطن... من مقاعد المتفرجين!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ يوليو ٢٠٠٣م، ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٦٨، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٣٤، السنة ٢).

(٣٩) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٥١).. « المواطنة »... وقضية « شركاء الوطن »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ أغسطس ٢٠٠٣م، ١٩ جمادى الثانى ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٧٣، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٣٩، السنة ٢).

(٤٠) يوسف سيدهم، « رسالة تبرىء ساحة أستاذ جليل »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م، ١٧ رجب ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٧٧، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٤٣، السنة ٢).

(٤١) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٥٧).. من يستطيع الوقوف فى وجه جبروت الأمن؟ (٢) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣م، ٢٣ شعبان ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٨٢، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٤٨، السنة ٢).

(٤٢) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٦١).. الديموقراطية... حديث الأمس واليوم والغد »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ نوفمبر ٢٠٠٣م، ٢٢ رمضان ١٤٢٤ هـ، إصدار أول (ع٢١٨٦، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٥٢، السنة ٢).

الهوامش

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص٢٥.

(2) Websters-online-dictionary.org

(٣) انظر التعريف الذى أورده جابر عصفور فى ترجمته لكتاب أديث كيرزويل، عصر البنيوية، بغداد، آفاق، ١٩٨٥م، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية، الطبعة الأولى، دبى: دار القراءة للجميع، ١٩٩٢م، ص ٢٠-٢٢.

(5) Brend Frohmann, "The Power of Images: A Discourse Analysis of Cognitive Viewpoint, "Journal of Documentation", Vol. 48, No. 4, 1992, PP. 365-386.

(٦) انظر حول التفكيك فى قراءة النصوص:

(7) J. Culler, On Deconstruction: Theory and Criticism after Structuralism, London, 1981.

(٨) انظر حول تحليل الخطاب النقدى:

(9) Puth Wodak (ed.), Language Power and Ideology: Studies in Political Discourse, London: Benjamins Publishing Company, 1989.

(10) Norman Fairclough, Critical Discourse Analysis, Harlow: Longman Group, 1995.

(11) A. Jaworksi, and N. Coupland (eds.), The Discourse Reader, New York: Routledge, 2002.

(١٢) أحمد زايد، الهرمينوطيقا، وإشكاليات التأويل، والفهم فى العلوم الاجتماعية، مجلة إضافات، العدد الخامس، يوليو ٢٠٠٤م، ص ٥-٣٧.

(١٣) محمود إسماعيل، مفارقات فى الخطاب الدينى المعاصر "مفارقات العلمانية"، مجلة الموقف العربى، ع ٨، ديسمبر ١٩٨٦م.

(١٤) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الدينى، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ط٤، ٢٠٠٣).

(١٥) أحمد زايد، معضلة الحداثة والتداخل الخطابى، فى: أحمد زايد، تناقضات الحداثة فى مصر، (القاهرة: دار عين، ٢٠٠٥م).

(١٦) سعيد عبد المسيح، دور الخطاب الدينى فى تشكيل الذات الاجتماعية، مؤتمر الذات والمجتمع، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، ١٩٩٧م.

(١٧) ديل، إيكلمان، الهوية الوطنية والخطاب الدينى فى عمان، فى: المثقف والمناضل فى الإسلام المعاصر، ترجمة سالم الحجار، (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٤م).

(١٨) نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان.. الصراعات وضرورات الإصلاح، (القاهرة: دار ميريت، ٢٠٠٣م).

(١٩) يوسف رامز، إصلاح المؤسسة، والخطاب الدينى فى مصر، أحوال مصرية، السنة السابعة، العدد ٢٧، شتاء ٢٠٠٥م، ص ٤٩-٥٤.

openkan.com

(٢٠) محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الدينى فى ضوء الواقع المعاصر، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م).
(٢١) نبيل لوقا بباوى، مشاكل الأقباط فى مصر وحلولها، (القاهرة: مطابع الأهرام، بدون سنة نشر).
(٢٢) الأنبا موسى، الشباب بين الاغتراب والانتماء، (القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ١٩٩٤م، (سلسلة الإيمان – الثقافة – المجتمع)، ع١).
(٢٣) الأنبا موسى، قضايا طبية معاصرة، (القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ١٩٩٧م، ع٥).
(٢٤) الأنبا موسى، تحديات القرن الجديد، (ط١، القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٠م، ع٦).
(٢٥) الأنبا موسى وآخرون، حوار الحضارات وضرورة التفاعل، (ط١، القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٢م).
(٢٦) بهجت سمعان، أنا والآخر، ط١، سلسلة دراسات روحية نفسية، (القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٤م).
(٢٧) يوسف القرضاوى، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع، والتفرق المذموم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م، ص١٣.
(٢٨) يوسف القرضاوى، المرجع السابق، ص ٣٠-٣٣.
(٢٩) عمر عودة الخطيب، نظرة إسلامية فى مشكلة التمييز العنصرى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص١٥١).

obeikan.com